ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 37 - العدد 1061 - الجمعة 4 صفر 1425 هـ - الموافق 26 مارس 2004

في مرونة الفقه المالكي

الإسلام يحرم الاعتداء على الغير

لقد جاء نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم يدعو الإنسانية إلى التسامح وإشاعة الرحمة فيما بينها، ويدعوها إلى الوفاء بالعهد وينهاها عن الظلم الذي لا تستقيم معه أمة، ولا تتقدم به دولة، فالظلم مرتعه وخيم، وفي الأثر: (لو بغى جبل على جبل لدك الباغي منهما).

فالإسلام لا يقر التجني على الغير والهجوم على الأبرياء وإلحاق السوء بالناس بدون أدنى مبرر شرعي، قال تعالى: "ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق"، فكيف لمن ينسب نفسه للإسلام أن ينتهك حرمات الغير ويعتدي على الأنفس والأموال، ويزعزع أمن الآخرين وينسب عمله الذي لا يقره عدل ولا دين ولا ضمير وفظائعه التي تمقتها الطبيعة، ويحاربها الضمير الإنساني.... ينسب مناكيره للإسلام؟! "كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون الا كذبا" فمن مقاصد الإسلام الشرعية حفظ النفس والعقل والمال والعرض.

فارتكاب عمل مشين يذهب بالنفس والمال ويؤثر على العقل بعيد كل البعد عن المقاصد الإسلامية التي تدعو للإصلاح والأمن والاستقرار ورعاية المصالح العامة، فالإسلام لا يرضى منا الإفساد والاعتداء والبغي والظلم - حاشى ومعاذ الله - وكل من يتجرأ على الآخر ويقوم بعمل لا يقره الدين ولا يقبله الشرع، فلا يجوز له بحال أن يسقط جرائمه وينسب فضائحه وقبائح أعماله إلى دين الإسلام دين الرحمة والنقاء والطهر والتعايش والتساكن، فمن يبحث عن مفهوم خاطئ في العمل والسلوك وينسبه للإسلام فقد أجرم في حق ديننا.... وليس عمله اللاإنساني من المنهاج الإسلامي في شيء، قال تعالى: "إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء" فلنشع - عباد الله - المحبة والرحمة والتوادد في النفوس... ولنبتعد عن ما يزعزع الأمن ويزرع الرعب ويبعث على القلق، فالإسلام يمنع ذلك لما فيه من نشر البلبلة والتفرقة التي حذر الله منها بقوله: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا"، هكذا يدعونا كتاب الله إلى أن نجتنب كل عمل يبعث على التشرذم والتفكك لما في ذلك من إضعاف البشرية الذي ضرره أكثر من نفعه.

ومن المعلوم أن ما تطالعنا به وسائل الإعلام من أنواع التخريب التي تقوم بها فئات من الناس في كثير من أنحاء العالم بدون أي مبرر لا يقر ذلك دين ولا يقبله ضمير ولا شرع ولا قانون.

قال تعالى: "لا إكراه في الدين" فديننا دين يحترم الأديان ويومن بأنبيائها ولا يفرق بين أحد منهم، قال تعالى: "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه" سورة البقرة، فديننا يفرض علينا أن نؤمن بالأنبياء جميعا وبما أنزل عليهم، قال تعالى: "قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون" فديننا دين إنصاف ورحمة واحترام للأديان كلها ولا يرضى منا أن نضيف إلى الإسلام من الطفيليات ما ليس منه، فمن أحدث في ديننا هذا ما ليس منه فهو رد عليه بالكتاب والسنة، وكم من فرقة تنسب نفسها للإسلام وهي بمعتقدها وسلوكها وأعمالها بعيدة منه كل البعد، قال تعالى: "ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن"، ونهانا ديننا الحنيف عن الاعتداء على الغير، قال تعالى: "ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين"، فالظلم حرمه الله على نفسه وعلى خلقه وأمرنا أن لا نظالم فيما بيننا... فكل من اعتنق راضيا هذا الدين ودخل في زمرة المسلمين فليقتنع مشكورا أن هذا المعتقد الرحماني الإسلامي هو دين إنسانية ولطف بعباد الله، قال تعالى: "ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين".

فلندرس هدينا الإسلامي ولنمارس دينه المبني على الأخلاق الرحمانية واللطف بعباد الله وحب الخير للبشرية بصفة عامة وليكن سلوكنا مرغبا في اعتناق ديننا ولنحذر ما يحاول أعداؤه أن يشوهوا به هذا المعتقد العظيم العالمي الإنساني الذي ينشر العدل والسلام والمحبة والوئام.

إن قدوتنا ونبينا صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة المكرمة بعد نضال استمر إحدى وعشرين سنة تسبب فيه اعتداء قريش وظلمهم للإسلام وتعذيبهم للمسلمين ماذا قال عليه الصلاة والسلام وقد لاقى هو شخصيا ومن آمن به وصدق رسالته من المضايقات، والتنكيل ما لا عين رأت... وما تنفطر له الأكباد من أعمال وحشية، قال وهو على باب الكعبة: (يا معشر قريش إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم خلق من تراب) ثم تلا قوله تعالى: "يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

إن ديننا يحترم الكل ولا يحرض أيا كان على المس بحقوق الآخرين والاعتداء عليهم، فمدرسة الإسلام إنسانية رحمانية لا تعصب فيها ولا ظلم، ولا يقول دعاتها في حق غيرهم ما يقول ويليام جيبور بالكران: (متى توارى القرآن ومدينة مكة من بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يندرج في سبيل الحضارة التي لم يبعد عنها إلا محمد وكتابه).

فنحن ندعو للتسامح والتراحم، وقد أمرنا كتاب الله أن لا نجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن فلا بغض ولا كراهية في الإسلام، وكذلك: لا إكراه في الدين.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

النائب الأول للأمين العام لرابطة علماء المغرب

الزكاة قاعدة التكافل الاجتماعي

علم التوقيت وآلة ذات الكرسي

متى تصبح وحدة المسلمين حقيقة

نصيحة الصفا في قواعد الخلف

العدل والعدالة في التوجيه الديني

العدل القضائي في الإسلام

-2-

نتابع في هذا العدد الحوار الإسلامي الذي انطلقنا إليه في إطار التوجيه الديني في ميدان القضاء ومايأمر به الله ورسوله وأولوا الأمر الذين يختارهم الله ليتحملوا مسؤولية القيادة العامة في المجتمع الإسلامي، وبينا ما يجب على المواطن من الطاعة في المنشط والمكره لأولي الأمر، طاعة لله ولرسوله كما رأينا في النصوص المنقولة.

وقد خصص بعض الصحابة - ابن عباس - تفسير أولي الأمر بأهل الفقه والدين، وهو ماأخذه كذلك جابر ابن عبد الله والحسن والضحاك ومجاهد كما رأينا في العدد الماضي.

وقال ابن كثير في تفسيره والظاهر - والله أعلم - أن الآية عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء ورجال الفقه.

وأولوا الأمر في المجتمع الإسلامي هم بصفة رئيسية من بايعهم المواطنون على تولي أمورهم الدينية والدنيوية في جميع شؤون الحياة، وهم يستعينون في تنفيذ ذلك بالتوكيل لغيرهم في مباشرة السلطة سواء على المستوى العام أو على المستوى الخاص في دائرة محددة، والعلماء هم جماعة من المكلفين بحكم النيابة عن الإمام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك بتبليغ حكم الله عز وجل في كل أمر يعرض عليهم سواء تعلق بالعبادة أو المعاملة أو السلوك أو العلاقات الأسرية أو الشخصية.

إن موقع هذه الجماعة وهم العلماء في ميدان بيان حكم الله في أي أمر من الأمور التي تتوفر على رأي فقهي شرعي علمي له مرجعية دينية في كتاب الله عز وجل يقول الله تعالى في سورة النساء الآية:38 (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف اذاعوا به، ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم".

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرعي

تتمة في الصفحة 2

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

الوجود الإسلامي في أوروبا

جذور تاريخية. واقع ملموس. مستقبل مشرق

■ الأستاذ صلاح الدين الجعفراوي

■ الإسلام دين عظيم أضاء شعاعة العديد من البقاع في أوروبا، ودخلت أفواج عديدة في دين الله منذ القرون الأولى من الهجرة، وأود في هذا البحث أن ألقي الضوء على بعض الجذور التاريخية للمسلمين في أوروبا، وكذلك الواقع الذي يعيشونه، وبالتالي المستقبل الذي ينتظر المسلمين إن أحسنوا القيام بدورهم والتمسك بمبادئهم... وفي مستهل هذا البحث أريد أن أؤكد على نقاط أربع هي:

1. لايعتبر الوجود الإسلامي في أوروبا حدثا عابرا أو وجودا طارئا، حيث أن دخول الإسلام كان منذ القرون الأولى للهجرة وقبل وصول الجيوش الفاتحة بمئات السنين.

2. لايستيطع أحد أن يصف الجاليات الإسلامية في أوروبا بالأقليات، حيث تصل نسبة بعض هذه الجاليات إلى أكثر من 50 في المائة في أماكن تواجدها، كما هو الحال في إقليم كوسوفو، والسنجق، وجمهوريات ألبانيا، ومقدونيا، والبوسنة، والهرسك والمناطق الجنوبية في جمهورية الجبل الأسود، ومناطق البوماك في بلغاريا.

3. لم يدخل الإسلام إلى أوروبا عن طريق الجيوش الإسلامية الفاتحة في بداية الأمر... ولكن هناك أفواج عديدة دخلت الإسلام قبل وصول الفاتحين بمئات السنين... فهناك قبور للمسلمين في مناطق السنجق بيوغسلافيا منذ عام 1316 ميلادية، وقبور أخرى في مناطق البوماك في بلغاريا عام 253 هجرية.

4. لا نرضى بأن يوصف المسلمين في أوروبا بالجاليات التي هاجرت من الدول الإسلامية لتستقر في أوروبا، حيث أن هناك الكثير من الشعوب الأوروبية انتمت للإسلام، كشعوب البوماك، والطربش، والتتار، والبشناق، والسنجق، والغجر، والألبان.

. ننتقل بعد هذه المقدمة إلى جوهر البحث لنتناول أبوابه المختلفة:

الجذور التاريخية للمسلمين في أوروبا:

"يارب إني أشهدك أنني لاأستطيع أن أتقدم أكثر من ذلك".. هذه الكلمات التي ترددت على شفتي القائد المسلم سيدي عقبة بن نافع عندما دفع جواده إلى الماء على شاطئ المحيط، بعد أن زحف على شمال إفريقيا خلال القرن السابع الميلادي63هـ.

. بدأ زحف الإسلام إلى أوروبا بعد تعالى صيحات النجدة من فساد وظلم وطغيان الحكام المدنيين والدينيين في أوروبا، وكان ذلك بوصول القائد المسلم طارق بن زياد إلى الأندلس عام 711 ميلادية، وخضعت شبه جزيرة الأندلس إلى الإسلام، وكان وصول الزحف حتى جبال الأورال الفرنسية.. وفي جنوب القارة وصلت الفتوحات الإسلامية إلى جزيرة صقلية، وجزيرة سردينيا عام 827 ميلادية، ثم إلى سواحل إيطاليا الجنوبية عام 846 ميلادية، ومضت حقبة حتى فتحت القسطنطينية عام 1453 ميلادية على يد القائد الشاب محمد الفاتح تمشيا مع نبوئة رسولنا الكريم (ﷺ) بعد قتال مرير حول أسوارها المنيعة.

. ولتأكيد الحقيقة الثالثة والرابعة التي ذكرناها في المقدمة من أن الإسلام دخل إلى القارة الأوروبية قبل وصول الجيوش الفاتحة بمئات السنين، نذكر هنا العديد من الشواهد من شرق القارة الأوروبية وغربها... ولايعتبر ذلك حصرا... بل مجرد صور متفرقة على سبيل المثال:

1. البوماك في بلغاريا والذين يقطنون جنوب البلاد، ويبلغ تعدادهم حوالي ثمانمائة ألف مواطن، هم مواطنون بلغار دخلوا إلى الإسلام في القرن الثالث الهجري، وقد وجدت قبور لمسلمين كتب عليها سنة 253هجرية، وتزايد عددهم وكثر جمعهم حتى وصول الفاتحين الأتراك في القرن الخامس عشر الميلادي، فقام هؤلاء البلغار المسلمين بنصرتهم، وبالتالي أطلق عليهم هذا الإسلام "البوماك" وهو يعني باللغة البلغارية "الأنصار".

2. في الكتاب الذي أصدره الكاتب شوكت كرستش عام 1993 ميلادية... والذي يؤكد أن الإسلام كان موجودا في إقليم السنجق قبل دخول الفاتحين الأتراك، وضم هذا الكتاب صورة لأحد قبور المسلمين كتب عليها 1316 ميلادية، أي قبل فتح القسطنطينية بأكثر من مائة عام.

3. شعب الطربش... هو شعب مسلم ينتمي لأصول مقدونية ويعيش في جمهورية مقدونيا، وقد دخل الإسلام حبا واقتناعا".

4. الجالية الإسلامية في ليتوانيا تنتمي لأصول تتارية وصلت إلى هذه البقعة في عام 1397 ميلادية حيث استقبلهم مؤسس المملكة الليتوانية الكبرى التي امتدت من بحر البلطيق إلى البحر الأسود الملك فيتاوتاس، حيث ساعده التتار في حروبه ضد الروس، والوقوف أمام غزوات الألمان...وهم يعتبرون جزءا من تتار بيلاروسيا وبولندا.. وقد سمح لهم الملك بإقامة شعائرهم وبناء المساجد.

5. الشعب الألباني المسلم الذي يمتد تواجده من جمهورية ألبانيا إلى جنوب جمهورية الجبل الأسود، وجمهورية مقدونيا وإقليم كوسوفو في قلب يوغسلافيا... ويشكلون نسبة كبيرة في هذه المناطق، فهم أكثر من 92في المائة من سكان كوسوفو، وما يقارب 30 في المائة من شعب جمهورية مقدونيا، ولهم تاريخ طويل مع الإسلام، وحملوا رايته، وينتمي لهم القائد محمد علي الكبير الذي حكم مصر فترة من الزمن.

6. شعب البوسنة والهرسك وشعب السنجق ينتمون إلى نفس الجذور التي تنتمي إليها شعوب الصرب والكروات، وهي الأصول السلافية التي أتت من روسيا لتستقر في هذه المناطق، وقد اعتنق كل منهم دينا، فالبوسنة والسنجق اختاروا الإسلام.

7. بولندا ... في عام 1397 ميلادية انتصر الملك فيتولت أحد ملوك مقاطعات شمال شرق بولندا على بعض الدول التتارية، وأسر بعض المسلمين الذين استقروا في البلاد محتفظين بمبادئهم الدينية وتقاليدهم الإسلامية، وتكونت بذلك نواة إسلامية صغيرة قرب مدينة فيلنو... وهذا هو أول تواجد للإسلام في بولندا... وفي عام 1410 ميلادية قامت فرقة مكونة من بضعة آلاف من المسلمين تحت قيادة الأمير جلال الدين أمير أحد الولايات الإسلامية الواقعة على ضفاف نهر الفلجا بمساعدة بولونيا ضد بروسيا، وتحقق النصر في موقعة جرونوالد... ويعتبر هذا هو الاحتكاك الثاني لبولندا مع المسلمين... وفي عام 1432 ميلادية عقدت معاهدة بين بولندا والأمير أحمد والي كيبشك الواقعة في شمال بحر قزوين، وتقتضي بأن يمد الأمير بولندا بالفرسان نظيرا لما تقدمه بولندا من امتيازات ومال ورعاية للمسلمين في بلادهم، وبعد ذلك استقر عدد كبير من التتار المسلمين ببولندا، وشكلوا العديد من كتائب الفرسان بقيادة اسكندر به وغيره حيث دافعوا عن حدود بولندا ضد غارات الروس الشرقية والألمان الغربية.

8. سويسرة.. كان أول تواجد للمسلمين عام 889 ميلادية عندما هاجرت مجموعات من المسلمين من الدولة الفركسينية (دولة جبال القلال) التي كانت تقع جنوب شرقي فرنسا في ذلك الوقت، واستقر المسلمون بمدن سان برنارو وسان موريس وسيون ومارتيني وغيرها.

9. اسكندنافيا... يذكر المؤرخ أحمد بن فضلان أنه رأى بعينه مجموعة من "الفيكنجار" (اللفظ الذي كان يطلق على سكان اسكندنافيا) دخلوا الإسلام وذكر أن عددهم كان حوالي خمسة الآلاف شخص... كما عثر أخيرا في السويد على كمية كبيرة من العملة الإسلامية تعود إلى أكثر من ألف عام... أي من القرن السابع إلى العاشر الميلادي.

10. المانيا... في عام 777ميلادي استقبل الملك كارل العظيم (شارلمان) الذي كان يحكم الدولة الفرنكية الأمير سليمان العربي أمير سرقسطة المطرود، واتفق معه على الوقوف بجانبه ضد أمير قرطبة... وكانت هناك علاقة صداقة بين الخليفة هارون الرشيد، والملك شارلمان في ذلك الوقت...

أما الوجود الحقيقي للإسلام في ألمانيا كان سنة 1731 ميلادية عندما استعان الملك فريدريس فيلهلم الأول بعشرين رجلا من الأتراك في بلاطه، وأعد لهم صالة يستخدمونها كمسجد قرب كنيسة الجنود في مدينة بوتسدام... وكان للملك أمنية أن يعبد الله بكل الألسنة وعلى كافة المذاهب، فطلب من الأتراك أن يصلوا يوم الأحد بدلا من الجمعة... فرفضوا ذلك.

. أفرزت الحروب التركية أعدادا متزايدة من الأسرى كانوا يعيشون تحت ظروف غاية في القسوة، مما دعا البعض لقبول التعميد، واعتناق الديانة النصرانية... ولكن بقي غالبية الأسرى على دين الإسلام... ورغم أن معاهدة السلام بكارل لويس عام 1699م شملت بندا "ينص على إطلاق سراح الأسرى الأتراك مقابل مبلغ من المال... إلا أن الدلائل تشير إلى بقاء أعداد من هؤلاء في ألمانيا ماتت على دين الإسلام، حيث يوجد في مدينة هانوفر شاهد صخرى لقبر أحد الجنود الأتراك كتب عليه هنا يرقد حامد التركي الذي كان مع الجيش التركي لتحرير فينيا... وهذا التذكار من قبل إخوانه في العقيدة الذين جاءوا من سورية والمجر إلى هانوفر.

(تتمة ص:1)

إن المجتمعات الإسلامية الحالية يمكن اعتبارها صورة من المجتمعات الإسلامية الأولى ففي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعض الناس عن حسن النية أو غيرها يروجون بعض الأنباء عن بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي لاأصل لها، وقد يكون لمروجيها أغراض خاصة، فحديث الإفك معروف في التاريخ النبوي، وما نتج عنه من شرخ في العلاقة مع البيت النبوي الكريم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال. كما في مقدمة صحيح الإمام مسلم. عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ماسمع" وفي الصحيح "من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب، فهو أحد الكاذبين".

وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه المتفق على صحته أنه حين بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق نساءه، جاء من منزله حتى دخل المسجد فوجد الناس يقولون ذلك، فلم يصبر حتى استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستفهمه: أطلقت نساءك؟ فقال له صلى الله عليه وسلم "لا" فقمت على باب المسجد يقول عمر فناديت بأعلى صوتي: لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه، وأن ذلك كان سببه نزول الآية "وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به..." يقول عمر رضي الله عنه فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر، ومعنى الاستنباط الاستخراج من الأصل، فالصحابة كان عليهم وهم في المسجد أن لايذيعوا الخبر الذي وصلهم بتطليق الرسول صلى الله عليه وسلم لنسائه، وهو خبر كاذب أذاعه منافق ليخلق بلبلة في المجتمع الإسلامي، وكان عمر رضي الله عنه من تولى كشف الحقيقة واستنباطها، وإزالة الكآبة من نفوس المسلمين.

وهكذا نجد في التاريخ الإسلامي أن نشر الأخبار الكاذبة على الله وعلى رسوله وعلى أولي الأمر ليس أمرا جديدا وهو سلوك بشري قديم غير أن المواجهة يجب أن تتم بالكشف عن الحقيقة من كل من يستطيع أن يبينها، وهذا في جميع شؤون الحياة.

وقد أعطت الآية القرآنية دورا للعلماء في البحث والتحقيق والاستنباط للوصول إلى الرأي الصحيح والقول الثابت والكلمة الفاصلة مادام الأمر في حدود مجالهم التوجيهي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دون الخروج عن ذلك إلى أمور مواجهات أخرى مختصة بها وحدها ولها أدوات الاستنباط للوصول إلى العلم الحقيقي.

هذه الوقفات القصيرة مع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تنير لنا الطريق في إطار معرفة ثوابت وأصول العدل في مسيرة الثقافة الإسلامية في ميدان العدل بصفة عامة ومسؤولية العلماء في نشر أنواره بين أفراد المجتمع الإسلامي بصفة خاصة حتى تسيطر ثقافة العدل على القلوب والأفئدة وتملأ الصدور بعد أن يشرحها الله لهذه الثقافة، وإلى العدد المقبل إن شاء الله.

نصيحة الصفا في قواعد الخلفا

للعلامة أحمد بن محمد بن يعقوب

الوثاق

فهذه نبذة تشتمل على ما ينبغي لمن وكل الله إليه أمر العباد استحضاره، ويحق له أن يكون نصب عينيه ليصل به إلى المرام بحول الله تعالى وقوته، ويتقوى به استبصاره، وسميتها ليطابق اسمها معناها، نصيحة الصفا في قواعد الخلفا.

■ الأستاذ : إدريس كـــرم

■ كتبت لأمير المومنين المجاهد في سبيل رب العالمين مولانا إسماعيل بن مولانا الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

يقول العبد الفقير إلى الله الغني، أحمد بن محمد بن يعقوب تولاه تعالى.

الحمد لله الجاعل في الأرض خليفة، المؤمن بالعدل عباده من المهالك المخوفة، الذي تجلى بسطوة قهره في ظهور الملوك، وأظهر سر وحدته في جبر العباد على اتباع ذي سلطان واحد بحيث يسلكون معه حيثما كان له سلوك، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا ومولانا محمد المصطفى، سيد الاصفياء من الأنبياء والخلفا، وعلى آله وصحابته الوارثين منه سر العلم والخلافة، المحرزين بجهدهم فخر تحصينهم العباد من كل ما فيه مخافة، وبعد:

❖ ❖ ❖ ❖

فهذه نبذة تشتمل على ما ينبغي لمن وكل الله إليه أمر العباد استحضاره، ويحق له أن يكون نصب عينيه ليصل به إلى المرام بحول الله تعالى وقوته، ويتقوى به استبصاره، وسميتها ليطابق اسمها معناها، نصيحة الصفا في قواعد الخلفا. وينحصر الغرض منها في أربعة أبواب وخاتمة.

الباب الأول : في مفاتيح الخلافة،

الباب الثاني: في حرزها،

الباب الثالث: في استقرارها،

الباب الرابع: في كمالها وحسن بهائها،

الباب الخامس (خاتمة): في جعلها وسيلة للفوز بالخلافة الأخروية.

❖ ❖ ❖ ❖

وقد أوجزت في الأبواب مع إقلالها، لأن ما أفاد مع الإيجاز أسرع نفعا وأقرب وضعا مما ليس فيه سرعة الإنجاز، ولأن سبيل الاختصار، أقرب إلى الحفظ مما يطال، والإنتفاع بما يحفظه بلا إكثار، أمكن مما قد لا يبقى له استقرار بالبال.

❖ ❖ ❖ ❖

كتب معاوية رضي الله عنه تعالى إلى أم المومنين سيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها أن اكتبي لي كتابا توصيني به ولا تكثري عليّ، فكتبت إليه رضي الله عنها.

أما بعد: فإني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول من التمس رضي الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس والسلام.

❖ ❖ ❖ ❖

وقال هارون الرشيد لابن السماك عظني وأوجز، فقال له: يا أمير المؤمنين إن الذي أكرمك بما أكرمك به، حقيق عليك أن تحب ما أحب، وتبغض ما أبغض، وقد أبغض دارا فأبغضها وأحب دارا فأحبها.

الباب الأول في مفاتيح الخلافة:

وفيه ثلاث قواعد، وكل قاعدة فيها ثلاثة أركان فأما **القاعدة الأولى** وهي دستورها، والقانون الجامع لمجموعها، فهي الإخلاص في طلبها، وفيه ثلاثة أركان، الركن الأول طلبها بالله تعالى، والثاني طلبها لله تعالى والثالث طلبها بحق الله تعالى، فأما طلبها بالله تعالى، فبالإستعانة به تعالى في دفع الموانع، وحصول الشروط، وتيسير الأسباب، والتوكل على قدرته تعالى في بلوغ المرام، قال الله تعالى: ومن يتوكل على الله فهو حسبه، إن الله بالغ أمره.

❖ ❖ ❖ ❖

ومن كلام الحكمة ما تيسر مطلب أنت طالبه بقوتك ونفسك، وما تعسر أنت طالبه بربك، ومصداق ذلك قوله تعالى: "قل اللهم مالك الملك توتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير".

ولتكن هذه الآية الكريمة ديدنا لطالب الخلافة، يتلوها آناء الليل وأطراف النهار، فببركة اعتقادنا وحضور معناها وتلاوتها، تنفعل الأمور باهتمام الملك، وتتيسر الأسباب بمسارعة الأقدار بين يديه، وليشفع ذلك بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإذا توكل العبد على ربه في مطلوبه، وتخلى عن قوة نفسه في مرغوبه، كانت الأشياء طوع يده، وصارت الجبابرة المفسدين في الأرض الذين هم في الغالب أعداء الخلافة خضعا لجهده.

❖ ❖ ❖ ❖

وأما طلبها لله تعالى ببيان يكون القصد القيام بحقوق الله تعالى فيها، وإيصال كل ذي حقوقه من عباده بسبب التمكن منها، وتأمين الطرقات بإجراء أحكامها وإسقاط بغي الباغي بسطوتها، وجهاد أعداء الله تعالى الكافرين لإعلاء كلمته تعالى بجهد الخلافة وقوتها، فإذا صح القصد صارت الحركات والسكنات في طلبها بالوجه المأمور حسنات، ولمل هذا هو الأصل فيما ورد عن الأقواء من بعض الصحابة في طلبها رضوان الله تعالى عليهم، وناهيك بهذا شرفا يبقى للدوام سلفا وخلفا.

❖ ❖ ❖ ❖

وأما طلبها بحق الله تعالى فيكون الطالب موصوفا بحقها، وقد أودع ذلك الطالب شروط وفقها، لكونه أهلا لتحمل أثقالها، حقيقا ببلوغ مراتب كمالها، وذلك بأن يكون قرشي النسب ثابت الجأش كريم الحسب، غير منازع فيه أحدا قبله ممن هو مثله، ولا مدافع عليها من كان فيها، وتبين له فيها فضله وعدله، قد تدرب بالحروب، لا تهوله منها الكروب، إذا طلبها لم ينكر عليه في السر ولا في العلانية لأهليته، وإذا خاض مهامة سوحها اعترف له الجمهور بأوليته، كصفة أمرائنا اليوم أهل بيت نبينا(ﷺ) وهم أولاد مولاي الشريف بن علي الشهير عن الإضافة والنسب، الفائق لأهل زمانه في المروءة والحسب فإن لهم في هذا المعنى ما لا يدافعون في أمره، ولا ينسبون فيه لغيره، خلد الله تعالى ملكهم مع العدل، وأبقى برحمته تعالى وجودهم لإحياء مراسم الدين بالفعل والقول.

❖ ❖ ❖ ❖

فمن طلب الخلافة وقد اختل فيه شرط النسب أو شيره مما تقدم فقد ضرب في الحديد البارد، وأسلك نفسه وهو ضال للحق معاند، فقد صح سند(ﷺ) لم يزل هذا الأمر في قريش ما قاسوا الدين، ولن يعاديهم فيه أحد إلا كبه الله على وجهه.

وأما القاعدة الثانية: فهي التحبب إلى الرعية بالتخلي بالنعوت السنية، وفيها ثلاثة أركان:

❖ ❖ ❖ ❖

الركن الأول: هو الرحمة للمستضعفين، وعدم التساهل فيما يجب شرعا على المجرمين، حتى يكون أحب الأشياء للضعيف منهم ملاقات الملك للشكية، وأبغض الأمور عند الجبار منهم الوقوف بين يديه عند التداعي في القضية، وقد شاهدنا أمير المومنين مولانا اسماعيل وأولاده من المعنى ما لا ينكر، فترى المسكين إذا أوجبت له الشكاية لديه يمشي وهو يتبختر، وترى الجبار من سطوة الأمير يتقطع بين يديه ويتكسر، ثم لا ينجيه من أخذ الحق منه حيلة، ولا تلطفه، ولا يحيد بالملك عن الإنتصاف للمظلوم حلمه المشهور وتعطفه، وهذا دأبه وأولاده على الدوام، لازال المسلمون بسعادة مجدهم فائزين بأكمل المرام، بمحمد وآله عليه وعليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام.

❖ ❖ ❖ ❖

الركن الثاني: العفو على المجرمين في غير حد من حدود الدين، قال تعالى: "والكاظمين الغيض والعافين على الناس والله يحب المحسنين"، وفي الحديث، ولا عفا رجل عن مظلمة أخيه إلا زاده الله بها عزا، فالإتصاف بالعفو لما تتوفر الدواعي على حب صاحبه وتتقوى الرغبات من العباد على اصطفاء راغبه، وهذا المعنى أيضا مما اعترف به للأمير أدام الله تعالى عده العدو والصديق، وهو له خلق لا يتكلف فيه مدافعة الغضب على التحقيق.

❖ ❖ ❖ ❖

الركن الثالث: سهولة الشهود والاقتراب وإزالة الموانع والحجاب، وتلك غالب السيرة النبوية، وطبيعة المعاملة المحمدية، فكان(ﷺ) في غالب أحواله بلا حاجب، بحيث يصل إليه بلا وسيلة كل رغب، وإنما كان هذا من التحبب للرعية لأن من وكلت إليه حوائج المسلمين وصعب لقاؤه، فأكثرهم يستبدل بحاجته الصعبة رفعها إلى الله تعالى الذي يأتي بالهون عطاؤه، ومن كان سهلا في تناول الأرب سريع الوجود لحقوق الطلاب انعطفت القلوب على محبته، وانصفقة الأفئدة على مودته وهذا مما اشتهر به أميرنا أدام الله وجوده، وشكر له في حوائج المسلمين جوده ومن ولاه من أولاده فهو جار على وفق طبيعة أبيه، وهل يكون من قطع الإبريز إلا من له شبيه ولم يزدهم إزالة الحجب إلا كمالا في قلوب رعيتهم وبهاء جميلا وذكرا حسنا في أنديتهم.

❖ ❖ ❖ ❖

وأما القاعدة الثالثة: فهي الإتصاف بالكرم وهو بذل الأموال في الحق على قدر يجب لمستحقيها مع كونها قد أخذها من أصلها وتتضمن ثلاثة أركان، أحدهما معرفة قدر الخراج المأذون فيه شرعا، وثانيها معرفه ما يحق للمصالح من المال نفعا، وثالثها تعليم الساعي عليها وكونه أمينا جباية ودفعا، فأما قدر الخراج فهو ما يجب من الزكوات والأعشار وذلك في محله وما يجب من الجزية على أهل الذمة، وذلك معلوم أيضا، وما يجب من خمس المغانم وما يجب من كراء الأرض التي فتحت عنوة وما يلحق ذلك من كل أرض جهلت أربابها، وكذا كل مال جهلت أربابه ومال من مات ولا وارث له، فهذه أوجه المكاسب لمال الله الذي يجب تفريقه على حكم مصالح عباد، وأما ما يحق للمصالح العامة والخاصة من المال فالزكاة للمسكين والعاملين عليها وللمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل والباقي يجب منه للأمير ما يكفيه في مهماته التي لابد له منها، ليتفرغ لأشغال العباد وهو الأول ثم أهل البيت يقدمون على وجه الاستحباب ثم ينفق الباقي في المصالح العامة والخاصة منها الجيش الذي هو في مقابلة أعداء الله الكافرين ومنها العلماء ليتفرغوا للقيام بعلوم الشرع ومنها المساكين مطلقا وأما الساعي فيجب أن يكون مختارا أمينا، ويجب عزله متى بدت خيانته.

(يتبع)

في ظلال الحديث :

الحديث السابع والتسعون: من هو الذبيح؟إسماعيل أم إسحاق؟

إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

نص الحديث:

عن معاوية قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه الأعرابي فقال: يارسول الله خلفت البلاد يابسة والماء يابسا هلك المال وضاع العيال فعد علي بما أفاء الله عليك يا بن الذبيحين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر. أخرجه الحاكم.

الحلقة الثانية

4ـ أقوال السلف فيمن هو الذبيح:

يقول ابن كثير في قصص الأنبياء ص 110،109: فمن حكى القول عنه بأنه إسحاق: كعب الأحبار، وروي عن عمر والعباس وعلي وابن مسعود، وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء والشعبي ومقاتل وعبيد بن عمير، وأبي مسيرة وزيد بن أسلم بن شقيق، والزهري والقاسم وابن أبي بردة، ومكحول، وعثمان بن حاضر والسدي والحسن وقتادة، وابن أبي الهذيل وابن سابط، وهو اختيار ابن جرير، وهذا عجب منه وهو أحدث الرواتين عن ابن عباس. ولكن الصحيح عنه وعن أكثر هؤلاء. أنه إسماعيل عليه السلام.

وقال مجاهد وسعيد والشعبي ويوسف بن مهران وعطاء وغير واحد عن ابن عباس: هو إسماعيل عليه السلام.

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أنبأنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن قيس، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس أنه قال: المفدي إسماعيل، وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود وقال عبد الله ابن الإمام أحمد، عن أبيه: هو إسماعيل.

وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن الذبيح فقال: الصحيح أنه إسماعيل عليه السلام.

وقال أيضا: وروي عن علي وابن عمر وأبي هريرة، وأبي الطفيل، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والحسن ومجاهد، والشعبي، ومحمد بن كعب، وأبي جعفر محمد بن علي، وأبي صالح أنهم قالوا: الذبيح هو إسماعيل عليه السلام.

وحكاه البغوي أيضا عن الربيع بن أنس الكلبي وأبي عمرو بن العلاء.

وما ذهب إليه الجمهور هو أن الذبيح إسماعيل، ومما يؤيد رأيهم مايأتي:

1. إن إبراهيم عليه السلام لما أنجاه الله من النار وهاجر من أرض العراق إلى الشام (وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين)الصافات"99، وبما أنه تقدمت به السن ولم ينجب طلب من ربه أن يهب له ولدا فاستجاب الله له (رب هب لي من الصالحين. فبشرناه بغلام حليم)الصافات:101،100، وكان هذا الغلام من هاجر المصرية وهو بالشام، وهو إسماعيل، ولما لم تنجب زوجته الأولى دخلت الغيرة قلبها فأمره الله أن يبعد عنها هاجر وولدها، فأسكنهما في موضع مكة، وامتحنه بذبحه لما بلغ معه السعي وكان ذلك الامتحان في مكة.

أما ابنه إسحاق فجاءت البشارة به بعد أن بشره الله بإسماعيل، كما تدل عليه الآيات التي ذكرت الرؤيا والبدء في الذبح ثم افتداء الله إسماعيل بذبح عظيم، وانتهت بمدح إبراهيم ثم ذكرت البشارة بإسحاق.

والامتحان يكون بذبح الابن البكر الذي جاء بعد شوق طويل، لا بالولد الثاني الذي لايصل حبه إلى ماوصل إليه حب الأول.

2. وأن إبراهيم عاش سلسلة من الامتحانات أكثرها يتحل بهاجر وولدها إسماعيل، حيث أسكنهما بواد غير ذي زرع، مسلما أمرهما إلى الله، يعيش بعيدا عنهما في الشام، ويزورهما على فترات، ثم يتصاعد الامتحان بأن يرى في المنام أنه يذبح فلذة كبده، وما ذلك إلا إسماعيل، ولنتصور حال إبراهيم لو تم الذبح كيف يترك هاجر وحيدة في مكان ليس فيه من الأنس ما في الشام حيث يستقر به المقام، إن سلسلة هذه الامتحانات المترابطة تؤكد أن الذبيح هو إسماعيل.

3. وأن هناك اختلافا في الظروف التي بشر بها إبراهيم بكلا ولديه إسماعيل وإسحاق فالبشارة بإسماعيل كانت عند هجرته من أرض العراق ويطلب من الله أما البشارة بإسحاق فكانت عندما جاءته الملائكة في طريق مرورها إلى قوم لوط، وهي فترة كان فيها إسماعيل مع أمه هاجر بعيدين عن البيت، الذي لم يكن فيه إلا سارة التي عجبت أن يولد لها وهي عجوز عقيم وبعلها شيخ كبير، ولم يكن هناك طلب منهما لهذا الولد والامتحان بذبح من طلبه وتشوق إليه امتحان أشد.

4. أن الشروع في ذبح إسماعيل صاحبته أحداث تدل على أنه هو المقصود بالذبح وليس إسحاق، ذلك أن الروايات تقول: إن إبراهيم أخذ ولده وخرج به من البيت ليذبحه بعيدا عن أمه فلقيهما الشيطان في الطريق وسول لهما عدم الاستجابة، فرجمه إبراهيم في أكثر من مكان، ومنه كانت شعيرة رمي الجمار من شعائر الحج، وذلك في مكة وليس في الشام.

5. عندما بشر الله إبراهيم وسارة بإسحاق عن طريق الملائكة، جاء في البشارة (ومن وراء إسحاق يعقوب) هود:71، يعني أن إسحاق سيولد ويكبر ويتزوج ويولد له يعقوب، فهل يعقل بعد الاطمئنان على حياة إسحاق أن يذبحه أبوه؟ إنه لو ذبحه فمن أين يكون يعقوب؟ هذا دليل أقوى على أن الذبيح هو إسماعيل.

6. أن البشارة بإسماعيل وصفته بأنه غلام حليم، أما البشارة بإسحاق فوصفته بأنه غلام عليم، وصفة الحلم تتناسب مع من أطاع أمر ربه وصدق رؤيا أبيه فلم يغضب ولم يعص، وهو إسماعيل، وصفة العلم غالبة في نسل إسحاق ويعقوب وبني إسرائيل.

7. أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الأضاحي فقال "سنة أبيكم إبراهيم" رواه أحمد وابن ماجه وأبو العرب هو إسماعيل بن إبراهيم، وليس إسحاق بن إبراهيم، كما هو معروف والقرابين كانت تذبح في مكة وليس في الشام استجابة لدعوة إبراهيم ربه (فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) إبراهيم:37، (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق. ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير. ثم ليقضوا نفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق) الحج:2927.

8. أن كبار العلماء من السلف قالوا: إن الذبيح هو إسماعيل كما روى ذلك عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس، ومجاهد عن ابن عمر، والشعبي يقول: رأيت قرنى الكبش في الكعبة (كذا) وعمر بن عبد العزيز استدعى يهوديا بالشام أسلم وحسن إسلامه فشهد بأن الذبيح إسماعيل.

وأبو عمرو بن العلاء سأله الأصمعي عن الذبيح فقال له: أين ذهب عقلك، متى كان إسحاق بمكة؟ إنما كان إسماعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة.

يقول الألوسي بعد أن ساق أقوال العلماء في ذلك: والذي أميل إليه أن الذبيح إسماعيل لأنه المروى عن كثير من أئمة أهل البيت ولم أتيقن صحة حديث مرفوع يقتضي خلاف ذلك، وحال أهل الكتاب لايخفى على ذوي الألباب.

وقال القرطبي في التفسير: واختلف العلماء في المأمور بذبحه، فقال أكثرهم: الذبيح إسحاق. وممن قال بذلك العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله وهو الصحيح عنه. روى الثوري وابن جريج يرفعانه إلى ابن عباس قال: الذبيح إسحاق. وهو الصحيح عن عبد الله بن مسعود أن رجلا قال له: يا ابن الأشياخ الكرام. فقال عبد الله: ذلك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم.

وروى أبو الزبير عن جابر قال: الذبيح إسحاق. وذلك مروي أيضا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وعن عبد الله بن عمر: أن الذبيح إسحاق. وهو قول عمر رضي الله عنه. فهؤلاء سبعة من الصحابة. وقال به من التابعين وغيرهم علقمة والشعبي ومجاهد وسعيد بن جبير وكعب الأحبار وقتدة ومسروق وعكرمة والقاسم بن أبي بزة وعطاء ومقاتل وعبد الرحمن بن سابط والزهري والسدي وعبد الله بن أبي الهذيل ومالك بن أنس، كلهم قالوا: الذبيح إسحاق. وعليه أهل الكتابين اليهود والنصارى، واختاره غير واحد منهم النحاس والطبري وغيرهما. قال سعيد بن جبير: أرى إبراهيم ذبح إسحاق في المنام، فسار به مسيرة شهر في غداة واحدة، حتى أتى به المنحر من منى، فلما صرف الله عنه الذبح وأمره أن يذبح الكبش فذبحه، وسار به مسيرة شهر في روحة واحدة طويت له الأودية والجبال. وهذا القول أقوى في النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين. وقال آخرون: هو إسماعيل. وممن قال ذلك أبو هريرة وأبو الطفيل عامر بن واثلة. وروي ذلك عن ابن عمر وابن عباس أيضا، ومن التابعين سعيد بن المسيب والشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي وعلقمة.

وعن الأصمعي قال: سألت أبا عمر بن العلاء عن الذبيح، فقال: يا أصمعي أين عزب عنك عقلك! ومتى كان إسحاق بمكة؟ وإنما كان إسماعيل بمكة، وهو الذي بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة.

وقال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: فبشرناه بغلام حليم وهذا الغلام هو إسماعيل عليه السلام فإنه أول ولد بشر به إبراهيم عليه السلام وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب بل في نص كتابهم...

وأخرج ابن إسحاق في "المبتدأ" عن ابن عباس نحوه وزاد: فوالذي نفسي بيده لقد كان أول الإسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة.

هذا هو ما أثير حول هذا الموضوع لخصته من كتب الحديث والتفسير، وقصص الأنبياء والسيرة، ومن زاد المعاد لابن القيم وغيره من المصادر، ينتهي إلى أن الذبيح هو إسماعيل، وماسبق في ذلك هو اجتهادات واستنباطات يؤيدها حديث الحاكم عن معاوية بعدم إنكار الرسول صلى الله عليه وسلم على من ناداه بابن الذبيحين، كما يؤيدها ما روي عنه صلى الله عليه وسلم من قوله: "أنا ابن الذبيحين" رغم ما قيل في سنده.

5ـ واخيرا:

ويستنتج من كل ماسبق أنه:

لم يكن هناك ابنا بكرا لابراهيم عليه السلام إلا إسماعيل.

وأن إسماعيل من أبناء إبراهيم المقربين إلى إسماعيل والمرضى عنهم لدى الله سبحانه وتعالى، فقد استجاب الله لدعاء أبيه في إكثار نسله، وباركه (أي جعل النبوة في نسله)

وأنه لو كان إسحاق قد ولد قبل رؤيا الذبح، لما كان لها معنى في إثبات حب إبراهيم لله، لأنه سيكون في هذه الحالة عنده البديل.

وأن بشارة الله بميلاد إسحاق هي مكافأة لإبراهيم عليه السلام على طاعته لله.

وأن بنو إسرائيل قد وضعوا إسحاق بدلا من إسماعيل، ليكون هو شعب الله المختار الذي افتداه الله ليرث الأرض الموعودة، وإبعاد أي نسل آخر ينازعها هذا الميراث.

ولو كان إسحاق هو الذبيح، لاتخذ بنو إسرائيل من الفداء سنة لهم ولذكروها في مناسبات مختلفة، ولكننا نجد أن الفداء عند بني إسرائيل يرتبط بالخروج من مصر، ولانجد إشارة من قريب، أو بعيد لذكرى فداء إسحاق.

حديث المنابر

الزكاة.. مقاديرها.. مصارفها..

■ إعداد الأستاذ: عبد الله الطيبي كدير

الخطبة الأولى:

■ الحمد لله رب العالمين..الحمد لله الذي جعل فرض الزكاة وتحريم الربا من أهم دعائم الإسلام في قلوب أفراد المسلمين وفي مجتمعهم.. الحمد لله الذي فرض الزكاة وحرم الربا ليحرر الفقراء من عبودية المال وبطر الأغنياء... الحمد لله جعل من الزكاة وحرمة الربا أساس تحطيم أغلال الفقراء.. وتحريرا للأغنياء أنفسهم من ذل المال وأسره.. وأشهد أنه الله الواحد الأحد الغني الحميد الشاكر العليم الرزاق ذو القوة المتين خزائن رحمته وفضله لاتفنى ولاتنفد، ينفق كيف يشاء، يرزق من يشاء بغير حساب.. كل الأموال التي بين أيدي الناس رزقهم إياها من فضله، فالمال مال الله، جعله الله بين أيدي عباده ليتداولوه جميعا بينهم، فقراء وأغنياء وهو سبحانه مع ذلك فضل الناس بعضهم على بعض في الرزق، لاليكون منهم الغني البطر الجشع، والفقير المعدم الذليل الخانع.. فالمال مال الله والخلق عيال الله.. وهذا المال متداول بين أيدي الناس فقرائهم وأغنيائهم.. لتحقيق مصالحهم.. لخدمتهم في معاشهم ومعادهم.. أغنياء وفقراء... ولهذا فرض الله تعالى على عباده الزكاة وحرم عليهم الربا.. وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله خير خلق الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن والاه واهتدى بهديه إلى يوم الدين... صلى الله عليه وسلم كما علمنا أن نقول مومنين موقنين شاهدين: "لاإله إلا الله محمد رسول" وكما علمنا أن لهذه الشهادة حقوقا: منها الزكاة... والزكاة هي حق المال.. وفي هذه الزكاة حكم الله تعالى وقضى أن يكون حقا للفقراء والمساكين وكل من يدخل في حكمهم أنصبة معلومة محددة تؤخذ من كافة ثروات المسلمين المدخرة، وكذلك تؤخذ من مجموع أموال المسلمين الرائجة في معاملاتهم التجارية.. وقدرها 2;5في المائة.. وكذلك تؤخذ من غلات الأراضي حبوبها وثمارها وقدرها 10 في المائة أو 5 في المائة وتؤخذ أيضا مما تدره بعض المناجم المعدنية.. وقدرها 20 في المائة أما المواشي والأنعام فإن مقادير ما يؤدى عنها من زكاة تختلف باختلاف عددها ونوعها..

فالزكاة أيها المؤمنون إذن حق معلوم في مال الغني لمصلحة الفقير والمحتاج.. حق حدده وفرضه رب العزة جل وعلا.. ليرفع عن الغني ذل عبادة المال، وليرفع عن الفقير ذل كفر الحاجة.. فالزكاة إذن فريضة إجماعية إلزامية، وليست من قبيل ماتعارف عليه الناس وسموه (بالاحسان) والحق أن هذا المعنى الذي أصبح متداولا للإحسان شوهه وأفسده... فإعطاء المتسول الملح أو المحترف ليس إحسانا.. فالتسول حرام حرام في الإسلام اللهم إلا في حالة واحدة، ويستحيل. في رأيي. وجودها في البلد المسلم الأبي الكريم، وهذه الحالة هي الحاجة الملحة والفقر المدقع والجوع المضني الذي يكاد يؤدي بصاحبه إلى الهلاك فمن كانت هذه حالته أن يسأل الناس ليدفع عن نفسه غائلة ماهو فيه.. على ألا يتخذ السؤال عادة أو حرفة... فالمتسول الملح الذي يسأل أكثر مما هو في حاجة إليه يبعث يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم.. لأنه أضاع كرامته وأساء إليها بسؤال الناس ماهو في غير حاجة مضطرة إليه.. والمؤمن الذي يبيت شبعان ريان وهو يعلم أن أخا له في ضائقة ولايعينه على الخروج منها ففي إيمانه دخل والعياذ بالله. والزكاة ليست صدقة تطوعية متروكة لاختيار الفرد وتطوعه... وإنما هي إجبارية.. وقد اضطر المجتمع الإسلامي في صدر الإسلام إلى إعلان الحرب على مانعيها وعدهم مرتدين..

والزكاة كما يقول عنها الأستاذ محمد المبارك: "شاملة لكل مال نام أو قابل للنماء كرؤوس الأموال التجارية مهما يكن نوعها، والنقود والمنتجات الزراعية والمواشي.. وهي دورية: سنوية أو موسمية، وهي تجب على من يملك حدا معينا (وهو مايسمى بالنصاب) من المال فأكثر ويعفى من يملك أقل منه، وهي بالنسبة للمسلم عبادة من العبادات يأثم إثما عظيما بتركها..."

والزكاة ليست ضريبة من نوع الضرائب المعروفة في عصرنا هذا.. وأهم فرق بينهما يمكن ذكره هنا هو أن الزكاة عبادة قررها الخالق جل وعلا يدفعها المؤمن المسلم طوعا لاكرها مادامت تخرج من يده عن إيمان صادق في وجوهها التي حددها له دينه.. وغايته منها أولا وقبل كل شيء هو مرضاة الله تعالى ونيل الأجر والثواب منه وحده والفوز بجنته والنجاة من عذابه يوم القيامة..

والزكاة قرينة الصلاة، وقد أكدلنا هذا أحد كبار علماء الاسلام في هذا العصر وهو المرحوم: محمد أبو زهرة حيث يقول: "وما من آية قرآنية كان فيها الأمر بالصلاة إلا وكان الأمر بالزكاة مقترنا بها، وسميت زكاة لأنها تزكي المال والنفس والمجتمع، ولذا قال تعالى: "خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها" فالزكاة تطهر النفس من شحها، والمجتمع من أدرانه، وتزكي النفس والمال وتنمي المجتمع كما نص القرآن.

وقد اجتهد فقهاء كبار من عصرنا، منهم الشيخ الأستاذ محمد أبو زهرة، والشيخ الأستاذ محمد المبارك، والشيخ الأستاذ يوسف القرضاوي ورأوا أن الزكاة تجب في العمائر والصناعات باعتبار أنها تدخل في الأموال النامية، يقول الأستاذ الشيخ أبو زهرة: "وهنا لابد أن نتخذ القياس الفقهي سبيلا للاستنباط، فنجد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قرر أن الزكاة بالنسبة للأموال المنقولة تؤخذ من رأس المال بمقدار 2,5في المائةتقريبا، وأما بالنسبة للأموال الثابتة، فإنها تؤخذ في الغلة، وبما أن العمائر المشيدة والمصانع أموال ثابتة، فإن الزكاة تؤخذ من غلاتها، وقد فرض النبي صلى الله عليه وسلم العشر فيما يسقى بالمطر أو السيح من غير آلة، ونصف العشر فيما يسقى بآلة، فإن تطبيق هذا المبدأ في المصانع والدور يكون بأخذ عشر الصافي بعد النفقات، وهذا ماقررته حلقة الدراسات الاجتماعية التي انعقدت في دمشق في 5 ديسمبر سنة 1956م وأوصت به الدول العربية.

ولاشك أن المصانع الأهلية يدفع الزكاة ملاكها، والشركات الصناعية تدفع الشركة هذه الزكاة، فإن لم تدفعها وجب على مالكي الأسهم أن يدفعوها من الغلات التي تؤول إليهم. وإذا كان مالك الأسهم يتجر في الأسهم ولا يتخذها للاقتناء، فإنها تكون عروض تجارة تجب فيها الزكاة على أنها عروض تجارة، فتقدم في أول العام وفي آخره، وتدفع الزكاة عن الأصل والزيادة، فقد أوصت بهذا أيضا حلقة الدراسات الاجتماعية" انتهى كلام الشيخ أبو زهرة .

وأعتبر هذا جوابا عن سؤال كان قد وجهه إلي أحد المؤمنين من رواد هذا المسجد المبارك... وأستغفر الله من الزلل والخطأ والنسيان وأسأل الله لي ولكم ولسائر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد وآخر دعوان أن الحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين.. الحمد لله الذي أوجب صرف الزكاة لمن يستحقها فقال جل من قائل: "إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله، وابن السبيل..."

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين... فطبقوا كتاب الله أحسن تطبيق وشرحوا لنا ماجاء فيه أحسن شرح وفسروه أو في تفسير.

فسروا الفقراء بأنهم الذين لايملكون نصاب الزكاة أولايملكون مايكفي حاجاتهم الأصلية. وفسروا المساكين بأنهم الذين لايستطيعون كسب مايكفيهم وأذلتهم الحاجة ودفعتهم إلى السؤال...

والعاملون على الزكاة هم جامعوها والقائمون على إدارتها وتصريف شؤونها، وفي الرقاب أي العبيد الذين ترد إليهم حريتهم ويعتقون من عبوديتهم بأموال الزكاة، وهم الأسرى أيضا الذين يفتدون من أسرهم بأموال الزكاة وتسهل لهم سبل العيش بعد ذلك.. وها قد زالت العبودية والرق بحمد الله تعالى ولم يبق إلا فك الأسرى وإعانتهم ومن مصارف الزكاة...

والغارمون هم الذين أثقلت الديون كواهلهم وعجزوا عن أدائها لأصحابها، على ألا يكونوا قد سقطوا في الدين لإسراف أو تبذير، بل لمصلحة خاصة أو إصلاح بين الناس، فأمثال هؤلاء تؤدى عنهم ديونهم من أموال الزكاة وفي سبيل الله: هم المجاهدون في سبيل الله وإعلاء كلمة الله ونشر دعوته والدفاع عن أوطان المسلمين وحوزتهم، وهم المرابطون على حدودهم لصد المعتدين..

وابن السبيل: وهو المنقطع عن أهله ووطنه وليس له مأوى يأوي إليه ولا مال يسد به عوزه، فهو أيضا ينفق عليه من الزكاة حتى يعود إلى أهله وموطنه سالما آمنا.

والمؤلفة قلوبهم: وهم الذين كان الإسلام يلتزم بنفقاتهم تثبيتا لهم على الإسلام، أو تأليفا لهم ليدخلوا فيه من باب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة... ويقول بعض الفقهاء بأن هذا المصرف قد اختفى ولم يعد موجودا.. وفي رأيي أنه أوجد مايكون في عصرنا هذا، وأوضح مثل له هم الجائعون من المسلمين في إفريقيا الذين يستغل الصليبيون والمبشرون جوعهم ليخرجوهم عن دينهم ويدخلوهم في النصرانية بأموال التبشير وإعاناته.. وإني لأتساءل: أفلا يجب أن نعدهم من المؤلفة قلوبهم الذين يصرف لهم من أموال الزكاة نصيب موفور يثبتهم على دينهم ويقيهم غوائل الجوع والفقر؟ والجوع كافر.. وقد كاد الفقر أن يكون كفرا...

فاللهم إنا نسألك أن تقي المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها غوائل الجوع الكافر ومغبات الفقر الذي كاد أن يكون كفرا.. وأن تلهمهم رشدهم وتوفقهم لحسن تنفيذ أوامرك والانتهاء عن نواهيك.. وأن تجعلهم جميعا أفرادا وجماعات من المفلحين الذين وقيتهم شح أنفسهم..

علم التوقيت وآلة ذات الكرسي

- الحلقة الثانية-

■ إعداد الأستاذ: محمد الرمشاني

■ ونظر الإنسان بعقله إلى قبة السماء التي تظلله ، وشاهد ما فيها من شموس ، وأقمار ، ونجوم ، وأجرام ، وكوكبات ، وأبراج ، فصرف ذهنه إليها ، وسبح بفكره بين نجومها فبهر بصره، وعجز لبه عن التفسير والوصف، فرفع رأسه ويديه إلى السماء مسبحا مكبرا للعزة الإلهية ، فعن طريقة مراقبة الشمس ، وضع الأسس الدقيقة لدورة السنين والأعوام ومراحل الفصول، فكان التاريخ، وكان التقويم ، وكان الزمن ، وكان الوقت ، وكان تحديد الاتجاهات على الأرض ، وعن طريق مراقبة القمر في منازله وفي مظاهره المختلفة ، وضع الإنسان المبادئ الأساسية لكل دورة قمرية، فعرف استقراء أوجه القمر، وحركة الاجتماع والاستقبال، والكسوف والخسوف، والتاريخ ، وربط الإنسان بمنظوره العلمي بين مظاهر حركات البحار والمحيطات (المد والجزر) ، وعن مراقبة النجوم والكوكبات استطاع الانسان الاهتداء إلى اتجاهه وطريقه ليلا وسط الصحاري والفيافي والبيداء، ومجاهل البحار، فأنارت تلك النجوم والكواكب وتلك الأبراج له الطريق وهدته إلى سواء السبيل.

ومن أجل ذلك صنع الأجهزة المختلفة اللازمة، والمراصد المتعددة، ونظم الجداول الحسابية الخاصة لذلك من ضبط الوقت ، ومعرفة مواقيت الصلاة، وضوابط رؤية الهلال ، وسمت القبلة ، وأعراض أخرى.

وقال الجادري في نظمه المسمى " بروضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار" وهو يحدث عن الكواكب الثابتة والمتحركة ما نصه:

الحمد لله العزيز القادر
مكور الليل الحكيم الخبير
مسخر الأفلاك والكواكب
سبحانه من مالك وواهب
جعلها هداية في البر
والبحر مهما ظل من في سير
أبدعها زينها صورها
وفي البروج أبدا سيرها
وجعل الشمس ضياء وقمر
نورا وفي المنازل له قدر
لتعلموا السنين والحسابا
وتهتدوا بنورها الذهابا
وبعد فاعلم أن علم الوقت
من آكد العلوم كل وقت
لأنه فرض على الأعيان
دليله من أوضح البرهان

وقال سيدي عبد الرحمن الأخضري صاحب السلم في المنطق

وبعد فاعلم أن علم الفلك
علم عزيز من أجل مسلك
أعني الذي تدري به الاوقات
والفجر والقبلة والساعات
ومابه تطرق للغيب
فذلك الحرام دون ريب
واعلم بأن العلم بالنجوم
علم شريف ليس بالمذموم
لأنه يفيد في الأوقات
كالفجر والأسحار والساعات
وهكذا يليق بالعباد
حين قيامهم إلى الأوراد
فليس يدرى جاهل ماقد مضى
في الليل جملة فربما انقضى

إلى أن قال:

فصل وأن الجهل بالأوقات
جهل بأمر الصوم والصلاة
والعلم بالأوقات فرض يقبل
لأنه به يتم العمل
فأول الظهر الزوال قد عرف
وقامة للعصر بعدما أصف
والمغرب الغروب وقت متحد
وللعشاء شفق إذا فقد
والفجر بالفجر الأخير الصادق
المستطيل الضوء في المشارق
والأول الكاذب في العيان
مرتفع كذنب السرحان
ومستطيل الضوء كالغمامة
تعرفه بهذه العلامة
يغتر كل جاهل وغافل
به ويدريه اللبيب العاقل

ونحن بعملنا هذا وبإسهامنا المتواضع حاولنا إبراز جانب مهم حول هذه الآلات الفلكية الميقاتية المنشورة بهذه الجريدة ، وذلك من أجل تقريب هذا العلم إلى الأذهان وتبسيطه والتعرف على تراثنا العتيق.

وبخصوص هذه الآية (ذات الكرسي نحاول إبراز دورها الهام في التوقيت بصفة عامة، ومساعدتها الفعالة ودورها الحيوي على التعرف على الصور الفلكية بصفة خاصة).

فالشمس حينما تغيب يتلاشى ضوءها ويبدأ الليل ، عند ذلك يصير الفضاء كسقف أسود من فوق رؤوسنا بعد أن كان أزرق اللون، وهاهي النجوم المتناثرة هنا وهناك التي تعد بالملايين ، وما شمسنا إلا واحدة من هذه الملايين ، وبعض هذه الشموس موغل في الفضاء بعيدا جدا يتجاوز الملايين من الأميال إلى حد أن الضوء الصادر من هذه الشموس يصل إلينا على سطح الأرض خلال آلاف السنين.

والحق سبحانه وتعالى حينما قال :(إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكوكب...).

فنحن دائما نتطلع إلى المزيد من التعرف على هذه الزينة ، فهذه الصور قسمها علماء الفلك القدامى ، إلى 48 صورة منها 15 صورة جنوبية . و21 صورة شمالية ، و12 صورة متوسطة وهي البروج.

وقد ألف عليها أبو الحسن عبد الرحمان بن عمر الرازي الصوفي المولود في 291هـ /903م المتوفى عام 376هـ /986م ، وهو العالم بالهيئة والأفلاك والأرصاد والأزياج كتابا ذائع الصيت المسمى بـ " الصور السمائية" وتعرض للعديد من الملاحظات أو المعلومات التي فاتت بطليموس فاستدركها الصوفي عليه، ولم يكتف الصوفي بما تكلم عليه نثرا من النجوم ، ووصفها وتبيان مواقعها في السماء وأبعاد ما بينها وأطوالها وعروضها بل شفع ذلك كله بأرجوزة تعليمية تسهل على القارئ المعرفة بالنجوم، عدة أبياتها 495 بيتا ، ويبداها بالقول:

باسم الإله العادل الموحد
ورحمة الله على محمد
هذا مقال لأبي علي
نجل أبي الحسن الصوفي
فهاك نعث الفلك العظيم
وكل ما يحوي من النجوم

صور كوكبات نصف الكرة الشمالية هي:

1 . الدب الأصغر .2 . الدب الأكبر.3 . التنين. 4. قيقاوس. 5 العواء . 6 . الإكليل الشمالي أو الفكة . 7. الجاثي على ركبتيه . 8 . الشلياق 9 الدجاجة . 10 . ذات الكرسي . 11. برشاوس. 12 ممسك الأعنة، 13 . الحواء . 14 . الحية . 15 . السهم . 16 . النسر الطائر. 17 . الدلفين . 18 . منطقة الفرس 19 الفرس الأعظم . 20 المرأة المسلسلة. 21 المثلث .

صور كوكبات نصف الكرة الجنوبية هي:

1 . قيطس. 2 . الجبار . 3 . النهر . 4 . الأرنب . 5 . الكلب الأكبر . 6 . الكلب الأصغر . 7. السفينة . 8 . الشجاع . 9 . البائطة .10. الغراب ، 11 . قنطروس. 12 . السبع . 13. المجمرة . 14. الإكليل الجنوبي . 15. الحوت الجنوبي.

صور البروج هي:

1 . الحمل .2 . الثور . 3 الجوزاء . 4. السرطان. 5 الأسد. 6 . السنبلة . 7. الميزان. 8. العقرب. 9 القوس. 10. الجدي . 11. الدلو. 12. الحوت.

تلاحظ كما قلنا أن 21 صورة شمالية زائد 15 صورة جنوبية زائد صورة البروج 12 مجموع ذلك 48 صورة ، وهذه الصور على أوضاع وأشكال مختلفة ، فكل صورة تعكس اسم المسماة به ، كما تحوي هذه الصور أسماء لكواكب مشهورة معروفة من القدرالأول كالغميصا مثلا الموجودة ضمن صورة الكلب الأكبر، حيث إن هذه الكواكب المشهورة هي التي توضع بعنكبوت الأسطرلاب ، وعلى كثير من الآلات الميقاتية للاستدلال بها على ضبط الوقت ليلا، ولا تخلو أية دراسة لأي آلة فلكية من دراسة هذه الكواكب ومعرفة أطوالها وعروضها ومطالعها المستقيمة.

وهناك غير الصوفي من علماء الإسلام ألفوا كتبا على هذه الصور وبينوا أشكالها وعدد كواكبها في كل صورة ، وبينوا كذلك مقاديرها وحصروها في ستة أقدار ، فالقدر الأول هذا للضوء رقم 1 ، ثم يليه في النور رقم 2، ورقم 3. وهكذا إلى رقم 6، ثم لا يرى بالعين المجردة القدر السابع وما يليه، ويقال أن من بلغ 50 عاما من العمر لا يقدر على رؤية القدر السادس إلا بواسطة وهذا في الغالب.

وقد ألف غير واحد على هذه الآلة مؤلفات مختلفة المناهج ، وأهم هذه المؤلفات كتاب" جامع المبادئ والغايات" لأبي الحسن المراكشي، حيث بسط الكلام على تخطيطها وصنعها وعلى العمل بها ، ويظهر أن أقدم مؤلف عليها هو التآليف (قسطا بن لوقا البعلبكي) المتوفى عام 310 هـ ، وتوجد نسخة منه بالخزانة الملكية مجموعة 1380، وأحسن مؤلف على العمل بها هو " الفريدة المنيرة في علم الكرة" تأليف الحسن الورفقي الطماني من أهل النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري ، وقد ألفها للسلطان محمود بن سلطان عبد الحميد خان، توجد نسخة منه بخط مغربي حسن مزدانة بالألوان بالخزانة الحسنية مجموع 1291 ، وأخصر مؤلف عليها هو" رسالة في ذات الكرسي" تأليف محمد بن علي الحميدي المتوفى عام 1179هـ/1765م انظر ترجمته في ج 6 ص 296 الأعلام للزركلي.

وهذه النسخة توجد منها نسختان بالخزانة الحسنية بالرباط مجموع 826 ومجموع 10141. وعندي مخطوطة من هذه النسخة صحيحة ومقروء بها وعليها هوامش وتعليقات وقد رقنتها ، ورأيت أن أدرج هنا مقدمة هذا الكتاب ثم عناوين الكتاب للاطلاع على الأدوار المهمة التي تتكفل بها آلة (ذات الكرسي) في جانب علمي الهيئة والتوقيت.

في مرونة الفقه المالكي

.مالكية الأندلس نموذجا. الحلقة الاولى

■ إعداد الدكتورة بشرى الشقوري

دخول المذهب المالكي إلى الأندلس

■ تعتبر مرحلة القرن الثالث الهجري مرحلة في غاية الأهمية والدقة، لكونها تمثل الفترة الزمنية التي تكونت خلالها القاعدة الأساس للمدرسة الفقهية المالكية بالأندلس، إذ انصبت جهود العلماء والمنظرين على بناء صرح هذه المدرسة، وترسيخ وجودها وتثبيت دعائمها.

وقد تباينت آراء العلماء واختلفت في أول من أدخل المذهب المالكي إلى الأندلس، حتى إن بعض الباحثين اعتبر المسألة غامضة : "أنخل بالنثينا" في كتابه "تاريخ الفكر الأندلسي"حيث قال: "لاتزال مسألة من أدخل المالكية إلى الأندلس غامضة... ويقال إن هذا الأخير (زياد بن عبد الرحمن) كان أول من أدخل المالكية إلى الأندلس، أما ابن القوطية فيقول: إن أول من أدخل الموطأ إلى الأندلس هو الغازي بن قيس.

ويعود سبب هذا الغموض وهذا التناقض إلى عدم تمييز هؤلاء، ومنهم هذا المستشرق الإسباني، بين دخول الموطأ إلى الأندلس ككتاب علمي مدروس، وهو محل اختلاف الباحثين، وبين تبني أهل الأندلس المذهب المالكي مذهبا فقهيا متبعا في جميع الأمور الحياتية.

ومنهم من اعتبر المسألة خلافية كالأستاذ "عمر الجيدي" الذي قال: "واختلفوا في أول من أدخل مذهب مالك الأندلس. فالمقري يرى أن المذهب دخل على عهد الحكم بن هشام بن عبد الرحمن ثالث أمراء بني أمية بالأندلس، بينما ذهب "ابن القوطية وتبعه "السيوطي" في "البغية"، و"العياشي" في "الرحلة"، على أنه "الغازي بن قيس"، وذلك في خلافة "عبد الرحمن الداخل". بينما يرى الجمهور أن أول من أدخله هو "زياد بن عبد الرحمن اللخمي" المعروف ب "شبطون".

ولتقريب هذا الاختلاف، والجمع بين الآراء والتوفيق بينها في مسألة دخول المذهب المالكي للأندلس، ميز بعض الدارسين بين ثلاثة مراحل تاريخية أساسية مر بها المذهب المالكي قبل استقراره في الأندلس، ففي المرحلة الأولى كان ظهور المذهب المالكي بالأندلس وذلك في عهد عبد الرحمن الداخل (172.138هـ).. حيث تعد هذه المرحلة البداية التأسيسية لوضع اللبنات الأولى لقيام المدرسة الأندلسية المالكية، مع أن أهل الأندلس كانوا مايزالون يومئذ على المذهب الأوزاعي... وفي هذه الفترة بالذات كان دخول الموطأ إلى الأندلس بفضل الفقيه "الغازي بن قيس" . وهو الذي قيل عنه بأنه أول من أدخل كتاب الموطأ إلى الأندلس.

أما في المرحلة الثانية، وهي مرحلة الذيوع والانتشار وذلك في عهد" هشام بن عبد الرحمن" (180.172هـ).فقد دخل موطأ الإمام مالك إلى الأندلس كاملا متقنا، وتقرر التزام مذهب مالك في القضاء والفتيا.. في الوقت الذي بدأ فيه المذهب الأوزاعي بالتراجع والانقراض.

أما أهم ماميز المرحلة الثالثة، وهي مرحلة السيادة والنفوذ، اندلاع ثورة الفقهاء (سنة 189هـ)، أو "هيج الريض"سنة (202هـ)، فكانت هذه الأحداث نقطة تحول في تاريخ الدولة الأموية بالأندلس والفقهاء المالكية، ويمكن تلخيص حادث الهيج في أمرين اثنين، وهما:

الأول: أن نصيب الفقهاء في ذلك الهيجة ظهر بصورة واضحة، واتضح أن الذين تزعموا الثورة هم الفقهاء من تلامذة الإمام مالك، لعدم رضاهم على سيرة الأمير الحكم.

الثاني: أن الثورة هزت كيان الأمير الحكم هزا شديدا، وكانت أشد الثورات عليه رغم تعددها في عهده، وأشعرته بضعف الأسس التي يقوم عليها ملكه، وأنه في حاجة لتأييد العلماء وإضفاء الشرعية على سلطانه.

بعد حادث الربض، أصبحت السيادة والكلمة للفقهاء المالكية بلا منازع، ومنع الحكام من مخالفة المذهب المالكي، وتسمى الفقهاء ب "شيوخ العصر".

سعة انتشار المذهب المالكي:

كان لعامل السلطان وتأثير العلماء الدور الرئيس الذي مكن هذا المذهب من سرعة الانتشار والتوسع الجغرافي.. أي أن السلطة السياسية والسلطة العلمية كانتا الدعامتين اللتين استندا عليهما أتباع المذهب المالكي، فكانت له الغلبة.

أما تأثير السلطة السياسية الحاكمة في ترسيخ المذهب المتبع فهو رأي كثير من العلماء كالقاضي عياض والمقريزي وابن حزم الذي يرى أن مذهبين انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان مذهب أبي حنيفة ومذهب مالك بالأندلس... وفي ذلك يقول: "مذهبا انتشرا في بدء أمرهما بالرئاسة والسلطان: مذهب أبي حنيفة فإنه لما ولي القضاء أبو يوسف كانت القضاة من قبله من أقصى المشرق إلى أقصى عمل إفريقيا، فكان لا يولي إلا أصحابه والمنتمين لمذهبه، ومذهب مالك عندنا بالأندلس، فإن يحيى بن يحيى كان مكينا عند السلطان مقبول القول في القضاء، وكان لايلي قاض من أقطار بلاد الأندلس إلا بمشورته واختياره، ولايشير إلا أصحابه ومن كان على مذهبه، والناس سراع إلى الدنيا والرئاسة فأقبلوا على بلوغ أغراضهم به على أن يحيى لم يل قضاء قط، ولا أجاب إليه، وكان ذلك زائدا في جلالته عندهم، وداعيا إلى قبول رأيه لديهم... ثم نشأ الناس على ما انتشر"والملاحظ على هذا الكلام أن ابن حزم يجعل من دور يحيى بن يحيى دور الرائد والمؤسس للمذهب المالكي بالأندلس، مع أن هذا الأخير كان دوره دور المتمم والموطد، وهو الرأي الذي عليه غالبية العلماء... وقبله، أكد القاضي عياض، وهو يتحدث عن إلزام الناس بالأندلس بمذهب مالك، وحماية هذا المذهب بقوة السلطان منذ إمارة هشام بن عبد الرحمن، واستمرار الناس على ذلك إلى زمنه: "على ذلك مضى أمر الناس إلى وقتنا هذا".

ويرجع ابن خلدون ظاهرة انتشار المذهب المالكي بين أهل المغرب والأندلس إلى سببين آخرين: أولهما: أن رحلتهم كانت غالبا إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج إلى العراق... وثانيهما: أن البداوة كانت غالبة على أهل المغرب والأندلس، ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق.. فكانوا إلى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة، ولهذا لم يزل المذهب المالكي غضا عندهم ولم يخذه تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب وإذا كان السبب الأول صحيحا فإن السبب الثاني لايمكن التسليم به.

وقد كان لزياد بن عبد الرحمن الدور الأبرز في تفقيه أهل الأندلس مذهب مالك، فهو أول من أدخل الموطأ مكملا متقنا، لذا اعتبر زياد الموطد الأول للمذهب المالكي في الأندلس، ودوره الأساسي في التحول من المذهب الأوزاعي إلى المذهب المالكي، لعدة عوامل مكنته من ذلك. ومع "عيسى بن دينار" و "يحيى بن يحيى الليثي"، مضافا إليهما عبد الملك بن حبيب صاحب الواضحة، زاد انتشار المذهب مالك وترسخت دعائمه.. وهو ماشخصه "ابن لبابة" بقوله: "فقيه الأندلس عيسى بن دينار، وعالمها ابن حبيب، وعاقلها يحيى بن يحيى".

تعدد الاتجاهات في المذهب المالكي ظاهرة صحية:

توفرت للمذهب المالكي مجموعة من الشروط الذاتية والموضوعية أصبح المذهب بمقتضاها يشهد نوعا من الازدهار العلمي في مجالات وصور عديدة، خصوصا بعد أن أصبح المذهب قائم الأركان، مستقل الأصول، قادرا على المواجهة والاستمرار.

تجلت العوامل الذاتية على الخصوص في توافر المذهب على منظومة فكرية قوية تمثلت في أصوله المستقاة من قواعد الشريعة ومصادر الاجتهاد، ثم إن كثرة الأصول والقواعد الاجتهادية في المذهب سمحت لهذا الأخير أن ينفتح على أكثر من منهج اجتهادي مخالف له، وأن يستوعب .تختلف الآراء والاجتهادات سواء داخل المذهب أو خارجه.. وكان تدعيم السلطة الحاكمة، وتبنيها للمذهب المالكي مذهبا معتمدا لدى الدولة، أهم العوامل الموضوعية التي دعمت المذهب في ميادين متعددة.

كما كان لتطور الحركة الحديثية في الأندلس الدور البارز في ازدهار الفقه المالكي بما قدمته تلك الدراسات الحديثية من مادة أثرية أغنت المنهج الفقهي المالكي، ومنحته فرصة التكيف مع واقع الحياة العملية...

وهكذا كانت الاتجاهات الفقهية المتعددة داخل المذهب المالكي المسهم الأكبر في فتح آفاق الفقه المالكي وانفتاحه..، وجعله قابلا لاحتواء والتكيف مع أكثر من منهج فقهي ومذهبي اجتهادي.. وليس اعتماد المالكي على "قاعدة مراعاة الخلاف" وعدها أصلا من أصول الفقه المالكي إلا دليلا واضحا على مدى تفتح هذا المذهب على غيره من المذاهب المخالفة، إذ أن بمقتضى هذه القاعدة يمكن الخروج من دائرة المذهب إلى غيره من المذاهب متى صح دليل المخالف وثبتت حجته.

ومما لاشك فيه أن ظاهرة تعدد الاجتهادات واختلاف الروايات والآراء وتوسع مجال الرأي داخل المذهب المالكي، ظاهرة صاحبت المذهب المالكي منذ بداية تأسيسه.. فلم يقتصر اختلاف آراء الأتباع على مجال النقل والرواية، حيث تروى عن الإمام قولين أو حكمين أو أكثر في النازلة الواحدة، بل تعداه إلى مجال الرأي والاجتهاد فيما لا نص للإمام فيه.. وطبيعي أن يجيئ المتأخرون، وتتوفر لهم من الأسباب والدواعي على الاختلاف أكثر ممن سبقوهم، ضمن هذه الرؤية يمكن لنا أن نحدد أسباب تعدد الاتجاهات داخل المذهب المالكي في سببين بارزين وهما: الاختلاف في النقل والرواية عن الإمام، أو بطبيعة الاجتهاد وتجاوز نطاقها إلى ما هو خارج المذهب المعتمد، أو اجتهادا شخصيا.. وكل هذا كان ظاهرة إيجابية في الفقه المالكي كما صرح بذلك "الونشريسي" حيث قال: "إن أهل المذهب ينقلون عن مالك في المسألة الواحدة القولين المختلفين والثلاثة والأربعة فيقولون: وقع في "المدونة "كذا، وفي "الموازية"كذا، وفي "المجموعة"كذا، وفي "المختصر"كذا. ويسطرونها في كتبهم، ويعتقدونها خلافا، ويعملون على مقتضاها، وهم لايعينون . في الغالب. المتأخر الذي يجب على مقلده الأخذ به من المتقدم الذي يجب تركه، وهذا ما التقليد لصاحبها، وهو واحد... وقد وقعت المسألة عندنا بغرناطة وتردد النظر فيها أياما، فلم يوقف إلا على أن الضرورة داعية إلى مثل هذا، وإلا ذهب معظم فقه مالك . كل هذا يقوم دليلا واضحا على مدى مرونة المذهب المالكي وقدرته الفائقة على التكيف والتأقلم.

الزكاة : قاعدة التكافل الاجتماعي في الإسلام

القسم الثالث : مصارف الزكاة

■ إعداد: أحمد تيشكرت

■ يراد بالمصارف الأشخاص الذين يحق لهم أخذ الزكاة أي من تصرف لهم ويستحقونها . ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم إن الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هوفجزأها إلى ثمانية أجزاء، وذلك ما يشير إليه قوله تعالى« إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » سورة التوبة/الآية: 60.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : يجب صرفها إلى الأصناف الثمانية إن كانوا موجودين وإلا صرفت إلى الموجود منه، ونقلها إلى حيث يوجدون » وقال أيضا لا ينبغي أن يعطى منها إلا من يستعين بها على طاعة الله. فإن الله فرضها معونة على طاعته لمن يحتاج إليها من المؤمنين أو من يعاونهم. فمن لا يصلي من أهل الحاجات لا يعطى منها حتى يتوب ويلتزم بأداء الصلاة

. وتوزيع الزكاة على الأصناف الثمانية السابقة الذكر يكون على النحو التالي:

1 . الفقراء : وهم المحتاجون الذين لا يجدون كفايتهم في معيشتهم أو يجدون بعض الكفاية . وهم أشد الأصناف استحقاقا للزكاة وجعلهم الله أول من يأخذ الزكاة ، ويعطون منها كفايتهم . إن كانوا لا يجدون شيئا . قال تعالى « إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتوتوها الفقراء فهو خير لكم، سورة البقرة / الآية: 271. وقال أيضا « للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، سورة البقرة / الآية :273.

2 . المساكين : المساكين : جمع مسكين ، والمسكين فسره النبي(صلى الله عليه وسلم) بالمحتاج المتعفف ، الذي لا يسأل الناس إلحافا ، ففي صحيح البخاري، أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال «ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والثمرة والثمرتان ولكن المسيكن الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يفطن إليه فيتصدق عليه . ولا يقوم فيسأل الناس» .. صحيح البخاري . ج.3ص.241. فتح الباري .

3 . العاملون عليها :

العاملون عليها ، وهم الجباة الذين يجمعون الصدقات ، فهؤلاء يعطون من الزكاة ، لأنهم تفرغوا لها ، فأصبحت كأنها وظيفة لهم فيعطون من مال الزكاة قدر كفايتهم ، روى أبو داود في سننه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لا تحل الصدقة لغني ، إلا لخمسة لغاز في سبيل الله، أو لعامل عليها، أو لغارم ، أو لرجل اشتراها بماله، أو لرجل كان له جار مسكين فتصدق على المسكين فأهدادها المسكين للغني».

4 المؤلفة قلوبهم: يراد بهم الأشخاص الذين كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعطيهم من أموال الزكاة . وهؤلاء المؤلفة قلوبهم سقط سهمهم في رأي جمهور الفقهاء بعمل عمر رضي الله عنه ، وسكوت الصحابة عليه فصار إجماعا، فقد روي عن الشعبي أنه قال: إنما كانت المؤلفة قلوبهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ولي أبو بكر رضي الله عنه . أي صار خليفة. انقطعت يعني انقطع نصيبهم.

5 . في الرقاب : وهم العبيد الأرقاء الذين يريدون أن يتحرروا من رق العبودية ويصبحوا أحرارا، وهذاما تشير إليه الآية« وفي الرقاب » أي في فك الرقاب ، فالمكاتب يعان في فك رقبته ليصبح حرا ، وهو الذي يقول له مالكه إن أديت إلي كذا أي مبلغا من المال فأنت حر لوجه الله ، فهذا هو المكاتب الذي أمر الله بإعانته. ومن هنا نلحظ عظمة الإسلام حيث دعا إلى تحرير الرقيق من مال الزكاة لأن تخليصهم من العبودية إحياء لهم، وإنقاذهم من الذل واعتراف بكرامتهم الإنسانية.

6 . الغارمون: الغارم هو شخص مسلم أو ذمي ، استدان ثم لم يقدر على أداء الدين عند حلول الأجل . فهذا الشخص يعطى من أموال الزكاة قدر ما يؤدي به دينه ، إلا أنه يشترط في الدين ألا يكون في معصية ، فمن أصبح مدينا في شراء الخمر أو في غيره من المحرمات، لا يستفيد من أموال الزكاة.

7 . في سبيل الله : سبيل الله يراد به الغزاة المجاهدون ، فهؤلاء يعطون من الزكاة لشراء السلاح وطعام الجنود وأدوات النقل وتجهيز الغزاة المقاتلين في سبيل الله ، وفي جميع ما يحتاج إليه المجاهدون نفقة لأنفسهم أو لعيالهم وذويهم ما داموا خارجين في سبيل الله. وهذا رأي الجمهور أن المراد بلفظ « في سبيل الله » المجاهدون ويدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الشخص المقاتل يكون في سبيل الله ؟ فقال (ﷺ) من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، الحديث أخرجه البخاري.

8 . ابن السبيل : ابن السبيل هو الغريب المنقطع عن وطنه إذا افتقر واحتاج إلى المال حتى ولو كان غنيا في بلده . ويشترط فيه أن لا يكون سفره معصية . لأن الإعانة على المعصية معصية لله. فيعطى في سفر الطاعة ، أو في السفر المباح ، واتفق العلماء على أن المسافر المنقطع عن بلده يعطى من الزكاة، ما يستعين به على قضاء حوائجه نظرا لفقره العارض، وهذا من عناية الإسلام ورعايته لأفراد الأمة حيث لم ينس من تشريعه المقيم في بلده أو المسافر.

. أما الذين تحرم عليهم الزكاة ، ولا يجوز لهم أخذها . فهم أصناف خمسة:

أولا: الغني، وهو الذي يملك النصاب لقوله (ﷺ)«لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي » أي لا تصح الزكاة للغني، ولا للقوي القادر على الكسب.

ثانيا : الكافر والملحد لقوله صلى الله عليه وسلم : «تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم».

ثالثا: لا يصح دفع الزكاة لأحد الزوجين، لأن المنافع بينهما مشتركة قال في المغني : ولا يعطى من الزكاة للزوج، ولا للزوجة. أما الزوجة فلا يجوز دفع الزكاة إليها إجماعا، لأن نفقتها واجبة على الزوج ، وأما الزوج ففيه روايتان. إحداهما بالمنع، وهو مذهب طائفة من أهل العلم.

رابعا: لا يجوز دفع الزكاة . للأصول والفروع ويقصد بالأصول الآباء والأجداد وبالفروع الأبناء والبنات . قال ابن قدامة ولا يعطى من الصدقة المفروضة. الزكاة. للوالدين وإن علوا . ولا للولد وإن سفل . لأن دفع زكاته إليهم تغنيهم عن نفقته وتسقطها عنه ويعود نفعها إليه. فكأنه دفعها إلى نفسه فلم تجز والمراد بالوالدين الأب والأم، فأما سائر الأقارب، فمن لا يرث منهم يجوز دفع الزكاة إليه ، وقد نص أحمد على ذلك ، فقد سأله بعض الناس ، يعطى الأخ والأخت والخالة من الزكاة ؟ فقال يعطى كل القرابة . إلا الأبوين والولد.

خامسا : آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم.

آل بيت النبي (ﷺ) تحرم عليهم الزكاة . لأن الزكاة أوساخ الناس فتكريما للنبي (ﷺص) ولآل بيته منعهم الله إياها ، وتجوز لهم الهدية ، قال ابن قدامة لا نعلم خلافا في أن بني هاشم لا تحل لهم الصدقةالمفروضة.

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

متى تصبح وحدة المسلمين حقيقة لا حلما؟

■ ترتفع أصوات المسلمين بالشجب والألم وهم يشاهدون على شاشات التلفزات العالمية مذابح ومجازر سفاح العصر شارون وهي تطال أطفالا وشبابا في عمر الزهور ، فيما يواصل بناء جداره العنصري في محاولة خبيثة لا قتطاع المزيد من أراضي الفلسطينيين وتجريف أشجارهم واقتلاع أشجار الزيتون من جذورها، وترتفع نداءات الشجب والاستنكار من بعض الدول الإسلامية، لكن السفاح ماض في مهمته ودون اكتراث بصراخ مليار ونصف مليار المسلمين في العالم متشجعا بصمت الدول الكبرى التي يقول لسان حالها: لتهنأ ياشارون بما تفعله وأكمل بناء جدارك أمام" الإرهابيين" الفلسطينيين .هذه هي حال المسلمين ، وهذه نتيجة تفرقتهم وتخاذلهم في نصرة بعضهم بعضا ، وكنا ومازلنا نردد أن الأمة الإسلامية أمة واحدة تجمعها روابط الأصل والتاريخ والثقافة ووحدة الدين والعقيدة ووحدة المبادئ الخلقية والتطلعات المشتركة والعبادات لقول الله تعالى في سورة الأنبياء « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون، بيد أن هذه الوحدة وياللأسف الشديد أصبحت مجرد حلم ، بقي أن نتساءل والألم يعتصر قلوبنا : هل يمكن أن يتحقق البديل وهو التجمع الواحد على أساس المصالح المشتركة ووحدة المصير وتجانس الأوضاع والظروف وشراسة التحديات المختلفة؟

إن وحدة العقيدة والشريعة التي تصوغها اللغة العربية، لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والحنين إلى تجمع واحد والأخوة الإسلامية ومقتضياتها من المناصرة والمؤازرة ووحدة المخاطر والتحديات الأجنبية وقضايا الأمة الكبرى.

كل هذه المنطلقات تدعو الشعوب الإسلامية إلى تعاون فعال وبناء ، وإلى بناء قاعدة تقوم عليها نهضة جبارة في مختلف المجالات ، وإلى حشد كل الطاقات والإمكانات في أوائل القرن الحادي والعشرين لإثبات الذات الإسلامية والوجود الإسلامي المتميز والاقتصاد القوي المتطور.

وعن وحدة العقيدة فهي قائمة على الإيمان بالله تعالى وحده واليوم الآخر، وهي منبع القوة والسمو والعزة لكل مؤمن مسلم وهي التي تميز المسلمين عن غيرهم من الوثنيين والقائلين بتعدد الآلهة وتجسيد الإله أو حلوله في بعض مخلوقاته قال الله تعالى « وإلهكم إله واحد ، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، سورة البقرة .

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مبدأ السمو والتجرد الإلهي وتنزيهه عن مشابهة الحوادث مما يبعث على حب الإله حبا لذاته ، وتوحيد قلوب المحبين له المنتمين لمبدأ وحدانية الألوهية والربوبية ، وحدة العبادة والعبودية لله ووحدة الخلق والتقدير والتدبير والتشجيع .

أما الحنين إلى تجمع إسلامي موحد فهو مستقر في قلب كل مسلم واع مخلص لدينه وعقيدته حتى نرى الإسلام قويا عزيزا منيعا والمسلمين أعزة أباة كراما تجمعهم وتربطهم ببعضهم أخوة إسلامية وتجعلهم كإخوة الدم والنسب ، بل هي أشد وأقوى وأمتن ، ولا نجد كالإسلام مبدأ أقام مثل هذا الرباط بين المنتمين له الملتفين حول شعائره ونصرة قضاياه في السلم والحرب.

إن الأحداث التي عرفتها وتعرفها ساحات العراق المسلم والضحايا الذين سقطوا من المسلمين سنة وشيعة في كربلاء وغيرها يوم عاشواء ماهي إلا معاول حاقدة لأعداء الأمة الإسلامية الذين يبذلون قصارى جهودهم لتكريس التفرقة بين المسلمين في بلد محتل تمتد إليه أصابع الصهيونية الشارونية بهدف إيقاظ نار الفتنة بين أبناء الأمة الإسلامية الواحدة.

تعقيب على تخطيئ الإمام الطرطوشي

الحلقة الثانية

■ إعداد الأستاذ: مراد الخروبي

■ مناقشة ما جاء في رد الأستاذ بخصوص إيراد أسماء العلماء القائلين بكون الذبيح هو إسحاق.

إن ما جاء في رد الأستاذ عبد القادر العافية بخصوص إيراد أسماء العلماء القائلين بكون الذبيح هو إسحاق لا يصمد أمام الحقائق العلمية الواردة في القرآن الكريم وإنني أتساءل كذلك مع الأستاذ الكريم على أي سند استند هؤلاء العلماء إن كانوا على صواب .. لم يرد الأستاذ عبد القادر أي دليل استند عليه هؤلاء الفقهاء ولم يسق أي برهان من القرآن أو الحديث الصحيح إن كان هناك حديثا صحيحا وصريحا في كون الذبيح هو إسحاق .. وإنما اكتفى بقوله بأن المسألة خلافية ، ثم بعد أن أورد قول صاحب الجامع لأحكام القرآن أبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي في تفسيره (بالجزء الخامس عشر صفحة 99) قال : والقول هنا نسبه لأبي عبد الله محمد الأنصاري) الذي قال عن الآية الكريمة " فلما بلغ معه السعي ..." قال (والقول كذلك لمحمد الأنصاري): اختلف العلماء في المأمور بذبحه فقال أكثرهم الذبيح إسحاق...)

كما أورد الأستاذ عبد القادر العافية فضلا عن ذلك عددا من الأقوال التي تقول بأن الذبيح هو إسحاق مما لا حاجة لإعادة تكراره

والملفت للنظر أنه ما دامت المسألة خلافية كما ذكر الأستاذ عبد القادرالعافية، فلماذا لم يسق لنا بالمقابل الأقوال التي يقول أصحابها عكس ذلك بأن الذبيح هو إسماعيل ما دامت هناك خلافات فقهية حول هذه المسألة؟...

لماذا ارتكز فقط على النظرية التي تميل إلى القول بكون الذبيح هو إسحاق عوض إسماعيل؟! ولماذا اختار أن يسلط الأضواء عل هذا الجانب دون الجانب الآخر ؟ لماذا لم يمنح الفرصة للاتجاه المعاكس ليدلي برأيه هو الآخر؟...

كلنا يعلم أن ميدان البحث العلمي يتطلب من الباحث وفق ما تقتضيه قواعد النزاهة والموضوعية أن يأتي بالرأي وخلافه ويستعرض مختلف المدارس الفكرية لأن ذلك من شأنه أن يغني النقاش ويفتح الأبواب على مصراعيها لعرض الآراء وتفنيدها ، والبراهين المختلفة ودحضها ، كما أن فيه إثراء للبحوث العلمية ... ودون الإطالة في هذا النقاش أسوق رأيي بكل شجاعة علمية لأقول :(لو اجتمع علماء المسلمين قاطبة الذين تعج بهم أرجاء المعمور في صعيد واحد على رأي يخالف صريح آية قرآنية ذات دلالة قطعية لوجب حينئذ نبذ رأيهم المخالف للكتاب والسنة الصحيحة وهو ما يصدق بالتالي على من يقول بكون إسحاق هو الإبن الذبيح عوض إسماعيل عليهما السلام.

فتلك الآراء التي تعارض حقائق التنزيل تصبح كلها لاقيمة لها أمام مخالفتها لآية صريحة واضحة الدلالة، كما أن الاستدلال بآراء تخالف الكتاب العزيز أو الاحتجاج بها هو تكريس للخطأ العلمي يحسن الابتعاد عنه بالمرة... قال تعالى :« وفديناه بذبح عظيم، وتركنا عليه في الآخرين، سلام على إبراهيم كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين ، وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين) سورة الصافات : الآية 107 إلى 112.

وأكرر بالمناسبة ما سبق أن قلته في مقالي (لاحظوا هنا أن البشارة بإسحاق جاءت بعد فداء الإبن من الذبح ، وحيث أن إبراهيم عليه السلام كان له ابنان لا غير، هما إسماعيل وإسحاق فنستنتج من هذه البشارة التي أتت بعد الفداء من الذبح أن الذبيح كان هو إسماعيل وليس إسحاق..."

كيف تستقيم فكرة الابن الذبيح بكون المقصود به هو إسحاق مع فكرة بشارة إبراهيم بعد ذكر الفداء من الذبح؟ وهل يستقيم مع المنطق بكون الابن الذبيح (إن صح هو إسحاق) الذي لازال في طور البشرى بميلاده... ولم ير الوجود بعد هو الذي أمر بذبحه (في الخيال؟!)

وما دام هذا المنطق لا يستقيم مع الواقع فهو بالتالي يحتم علينا الجزم بكون إسماعيل ، هو الابن الذبيح اعتبارا لما سلف من دلائل علمية ومنطقية ..

رأي بن كثير بخصوص الابن الذبيح

تحدث أبو الفداء الحافظ بن كثير عن المقصود بالابن الذبيح فقال في فصل من كتابه المسمى " قصص الأنبياء" وقد جاء في هذا الفصل الذي يحمل عنوان « قصة الذبيح، ما يلي : (.. يذكر تعالى عن خليله إبراهيم أنه لما هاجر من بلاد قومه سأل ربه أن يهب له ولدا صالحا فبشره الله تعالى بغلام حليم ، وهو إسماعيل عليه السلام لأنه أول من ولد له على رأس ست وثمانين سنة من عمر الخليل، وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل الملل لأنه أول ولده وبكره، وقوله "فلما بلغ معه السعي" (الصافات 102) أي شب وصار يسعى في مصالحه كأبيه قال مجاهد (فلما بلغ معه السعي) سورة الصافات / الآية :102 أي شب وارتحل وأطاق ما يفعله أبوه من السعي والعمل، فلما كان هذا رئي إبراهيم عليه السلام في المنام أنه يؤمر بذبح ولده..)

المصدر : كتاب قصص الأنبياء لأبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي المتوفى سنة 774 هـ الصفحة 138 طبعة دار المعرفة الدار البيضاء سنة 1421 هـ 2000م.

وممن ذهب إلى هذا الرأي الدكتور أحمد شلبي في كتابه (مقارنة الأديان الطبعة الثامنة 1986 الصفحة 135) حيث قال بعد أن ذكر الآية التي تتحدث عن الذبح ما يلي:

وهكذا نجا إسماعيل من الذبح، ومن الواضح أن الذبيح هو إسماعيل ، وليس إسحاق كما تذكر التوراة فبالنسبة للاستدلال بالقرآن نجد أن البشرى بإسحاق جاءت بعد قصة الذبيح . أي أن إسحاق لم يكن قد ولد بعد عندما حدثت هذه القصة وهذا ما يؤكد أن الذبيح هو إسماعيل لا إسحاق

ويؤكد كذلك نسق الآيات التي وردت مبشرة بمولد إسحاق ، فقد ارتبطت بشارة المولد بأن الوليد سيكون نبيا وبأنه سيكبر ويتزوج ويولد له ولد يسمى يعقوب.

قال تعالى:

.« وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين » سورة الصافات الآيتان: 102 . 103.

.« وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب » سورة هود / الآية 71. ويضيف الدكتور أحمد شلبي قائلا « ومن التناقض أن يكلف الله إبراهيم بذبح غلام وعد الله أنه سيكون نبيا، وأنه سيتزوج ويعقب».

ويستمر الدكتور أحمد شلبي فيقول:« وبالنسبة للتوراة يلحظ الباحث المدقق أن ما ورد بها عن تحديد الذبيح بأنه إسحاق عمل مصنوع لم تتقن صنعته ، فقد جاء في الإصحاح الثاني والعشرين من سفر التكوين « إن الله امتحن إبراهيم فقال له ياإبراهيم ،فقال ها أنذا ، فقال خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق ، واذهب إلى جبل الموريا واصعده ... وهناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك...".

سفر التكوين الإصحاح الثاني والعشرين الفقرات 1. 3.

يقول الدكتور أحمد شلبي معلقا على ما سلف كما يلي (ووضع الإسم " إسحاق مع كلمة" وحيدك" تناقض ظاهر . لأن إسحاق لم يكن وحيدا لإبراهيم في يوم من الأيام فقد ولد وعمر إسماعيل أربعة عشر سنة كما نصت التوراة ، وبقي إسماعيل وإسحاق معا حتى مات إبراهيم ودفناه معا في مدينة حبرويه " الخليل " سفر التكوين الإصحاح الخامس والعشرين الفقرات 1 . 3.

ودليل آخر (والكلام هنا دائما للدكتور أحمد شلبي) نسوقه على كون الذبيح إسماعيل لاإسحاق ذلك هو أن كاتبي التوراة من اليهود دأبوا على محاولة إسناد الفضائل إلى أجدادهم ، فإذا كان في قصة طاعة وامتثال فإنهم ينسبونها لإسحاق...(المرجع السابق الصفحة 136.

إيراد رأي الأستاذ عفيف عبد الفتاح طبارة حول الابن الذبيح:

جاء في كتاب " مع الأنبياء في القرآن الكريم" للأستاذ طبارة في الصفحة 125 مايلي:

من الذبيح؟!

القرآن ينص على أن الذبيح هو إسماعيل لأنه ذكر قصة الذبيح ثم بشر الله إبراهيم بولد آخر اسمه إسحاق (وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين) فالإتيان بالبشرى بإسحاق بعد ذكر قصة الذبح صريح في أن إسحاق غير الغلام الذي ابتلي إبراهيم بذبحه أما اليهود فيدعون أن الذبيح هو إسحاق .، فسفر التكوين يذكر الذبيح ويستهل ذلك بذكر هويته ، بما قال الرب لإبراهيم (خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق واذهب إلى أرض مورية .

ويضيف الأستاذ عفيف عبد الفتاح طبارة فيقول :

(وقد رد بن كثير على هذا الإدعاء فقال (فلفظ إسحاق هنا مقحمة ... لأنه ليس هو الوحيد ولا البكر وإنما ذاك هو إسماعيل ، وإنما حمل اليهود على هذا حسد العرب، فإن إسماعيل أبو العرب الذين يسكنون الحجاز والذين منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإسحاق والد يعقوب وهو إسرائيل الذي ينتسبون إليه ، فأرادوا أن يجروا هذا الشرف إليهم فحرفوا كلام الله وزادوا فيه...(البداية والنهاية ج 1 ص 159) انتهى ما ساقه ذ .عفيف عبد الفتاح طبارة

وأنا أعد من الكرامات الإلاهية أن يفتدى إسماعيل بذبح عظيم والذي يرجع نسب رسول الله (ﷺ) إليه. كما افتدى عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا، من الذبح مقابل مائة ناقة كما هو وارد في السيرة النبوية . وليس من قبيل الصدف أن يتم فداء عبد الله بن عبد المطلب ، والد رسول الله صلى اله عليه وسلم أسوة بما حصل من قبل بالنسبة لإسماعيل عليه السلام باعتباره الجد الأكبر الذي يربط بين نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين إبراهيم الخليل عليه السلام.

أما عن إسحاق عليه السلام ، فلا علاقة له بتاتا بهذه الفدية المنسوبة إليه خطأ لكون سلالة بني إسرائيل تنحدر منه.

الذكر عبادة إسلامية لها فوائد وثمار عديدة في حياة الإنسان المسلم الدنيوية والأخروية

■ إعداد الأستاذ : عمر الرماش

■ الذكر من أهم وأعظم العبادات والقرابات إلى الله تعالى:

إن الذكر يعتبر من أهم العبادات والقرابات التي يتقرب بها الإنسان المسلم إلى الله سبحانه وتعالى ، وهو من أعلى المراتب والدرجات إذ يستوجب ذكر الرب عز وجل لعبده الذاكر حيث يقول سبحانه : « فاذكروني أذكركم » سورة البقرة/ الآية 152. وإن من أرفع أنواع الذكر قراءة القرآن الكريم وتدبره، ولذكر الله تعالى فوائد وفضائل عظيمة بالنسبة للإنسان المسلم في الدنيا والأخرة . ولعل حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وسلم الذي رواه أبو هريرة يجمع بعض أهم هذه الفضائل الجليلة والذي يقول فيه:(من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم ما ئة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه حتى يمسي ولم يأت أحد أفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه) متفق عليه أي رواه البخاري ومسلم . ويمكن أن نستعرض في الفقرات التالية بعض أهم ثمرات وفوائد الذكر في حياة الإنسان المسلم الدنيوية والأخروية.

من فوائد الذكر الاطمئنان والسكينة وكفارة الذنوب والمعاصي والبعد عن الفحشاء والمنكر.

إن من ثمرات ذكر الله تعالى أن تطمئن القلوب والنفوس مصداقا لقوله عز وجل « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب» سورة الرعد الآية: 28، كما يملؤها الخشية والرهبة من الله تعالى « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون » سورة الأنفال /الآية: 8.

ومن فضائل الذكر أيضا، أن الملائكة تحف الذاكرين والرحمة تغشاهم والسكينة تتنزل عليهم وينالون ذكر الله عز وجل في الملإ الأعلى ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده» رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

ومن ثمرات الذكر أن الله تعالى يكون مع عبده الذاكر ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم . يقول الله تعالى « أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خيرمنه وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيت إليه هرولة» أخرجه الشيخان والترمذي.

إن ذكر الله تعالى كفارة للذنوب والمعاصي مصداقا لقوله عز وجل « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله » سورة آل عمران / الآية 135 . كما أن ذكر الله يعتبر أكبر ناه عن الفحشاء والمنكر . قال تعالى في محكم كتابه العزيز: «إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر» العنكبوت/ الآية : 45.

من ثمرات الذكر النجاة من مكائد الشيطان والظفر بشفاعة النبي الكريم والعتق من النار:

إن ذكر الله تعالى يكون حرزا لصاحبه من الشيطان. ومعلوم أن الشيطان يكيد للإنسان في كل وقت وحين ليوقعه في سخط الرحمن ، فإذا استحوذ على المرء أنساه ذكر الله . وقد حدثنا كتاب الله عن قوم غضب الله عليهم من أصحاب النار فقال «استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله. أولائك حزب الشيطان. ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون». سورة المجادلة / الآية:19 ومن يعرض عن ذكر الله سلط الله عليه شيطانا يلازمه فيغويه، قال تعالى: « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين . وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون » سورة الزخرف / الآيتان: 36 37. ومن ثمرات ذكر الله أن المسلم ينال شفاعة النبي محمد يوم القيامة . فقد قال عليه الصلاة والسلام « أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه) رواه البخاري (35/1) . كما أن ذكر الله يخرج صاحبه من النار يوم القيامة . قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: (يخرج من النار من قال لاإله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من الخير) رواه الإمام البخاري في صحيحه(18/1).

فصل: نية الإمام والمؤذن ، وآدابهما

■ والكلام عليهما مشترك مثل ما تقدم في العالم والمتعلم.. فالإمام له آداب تخصه فمنها ما هو واجب ، ومنها ما هو مندوب ، ومثله المؤذن فالواجب على الإمام على ما ذكره العلماء أن يكون فيه ثمانية أوصاف ، وهي أن يكون مسلما، عاقلا، بالغا، ذكرا، عدلا، متكلما، قارئا، للقرآن أو لأم القرآن، فقيها بأحكام الصلاة، والمؤذن : شرطوا فيه أيضا ثمانية أوصاف، وهي: أن يكون مسلما، عاقلا، بالغا، ذكرا، عدلا، متكلما، عارفا، بالأوقات، سالما من اللحن في الأذان ، وينبغي للإمام أن ينوي الإمامة في خمسة مواضع ، وهي : كل صلاة إلا في جماعة حتى تحصل له فضيلتها، ولا يلزمه أن ينوي الإمامة في غيرها ، وهي صلاة الجمعة ، وصلاة الخوف ، والجمع للمطر ، وصلاة الجنازة ، وإذا كان مأموما ، واستخلف هذا الذي يجب فيه نية الإمامة وما عدا ذلك ، فلا يجب لكن إذا لم ينو الإمامة لا تحصل له فضيلة من نواها ، وإذا نواها فينبغي له أن يستصحب مع ذلك نية الإيمان والاحتساب كما تقدم في حق العالم. وأما المأموم فيلزمه أن ينوي أنه مأموم، فإن لم ينو ذلك لم تصح صلاته، والإمامة فرض على الكفاية فإذا عزم عليها فلينو بذلك أنه يقوم بفرض الكفاية حتى يسقط ذلك عن إخوانه المسلمين ، وينبغي له أن لا يتسارع إليها ، ولا يتركها رغبة عنها، وقد ورد أن جماعة ترادوا الأمامة بينهم فخسف بهم ، وكثير من الناس من يتورع عن الإمامة ، وهو خطأ ، وكثير منهم من يبادر إليها، وهو خطأ أيضا، وأما في زماننا هذا أعني في الديار المصرية ، وما أشبهها فينبغي لمن فيه أهلية أن يبادر إليها إذا كان لا يعرف حال الإمام ، وأما مع معرفته فيعمل على ما يعمل من ذلك ، وقد كان سيدي أبو محمد رحمه الله يقول: إذا أخذك وقت الصلاة بمسجد من المساجد ، فإن كنت في بلاد المغرب فصل حيث كنت ، وليس عليك إعادة، وإن كنت في الديار المصرية وما أشبهها فيقع التفصيل بين أن تعلم حال الإمام أم لا فتعمل على ما تعلم من حاله، فإن كان فيه أهلية مضت صلاتك ، وإلا فتعيدها ، وكان رحمه الله يعلل ذلك فيقول : إن بلاد المغرب لا يتولى الإمامة في المسجد الأعظم إلا من أجمع أهل تلك البلد على فضيلته وتقدمه في العلم ، والخير، والصلاح ، وسائر المساجد لا يتولى الإمامة فيها إلا من أجمع أهل تلك الناحية على فضيلته عليهم . وأما الديار المصرية وما أشبهها، فإن الإمامة فيها بالدراهم غالبا، وهي إذا كانت كذلك لا يتولاها إلا صاحب جاه أو شوكة، ومن اتصف بذلك فالغالب عليه رقة الدين ، فإذا صلى خلفه وهو لا يعرف أعاد صلاته لقوله عليه الصلاة والسلام« أئمتكم شفعاؤكم فانظروا بمن تستشفعون» وينبغي له إذا تولى أن يكون ذلك منه بنية صالحة صادقة لله تعالى لا يطلب بذلك عوضا عن ثناء ، ولا راحة دنيوية ، ولا صورة مميزة بين الناس، بل يجعل ذلك لوجه ربه خالصا، لأن الإمامة من أكبر مهمات الدين ، وقد ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال :(من عمل من هذه الأعمال شيئا يريد به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة، وعرفها يوجد من مسيرة خمسمائة عام، فيحذر من هذا الخطر العظيم ، وقد ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: « ثلاثة على كثبان المسك يوم القيامة يغبطهم الأولون، والآخرون: عبد أدى حق الله تعالى وحق مواليه، ورجل أم قوما وهم به راضون ، ورجل ينادي بالصلوات الخمس كل يوم وليلة، فإن خاف أن يكون في الجماعة من يكره إمامته فتركها إذ ذاك أفضل له ، وذلك بشرط أن تكون الكراهة على موجب شرعي حذرا أن يكره أحدا إمامته لحظ دنيوي أو نفساني أو ما أشبه ذلك ، فإن كانت الكراهة شرعية فلا يتقدم لما ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن ثلاثا رجل أم قوما وهم له كارهون ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، ورجل سمع حي على الفلاح ولم يجب » فإن كان له على الإمامة معلوم ، فلا يأخذ بنية الإجارة بل يأخذ على نية الفتوح من الله تعالى لا على أنه عوض على فعل الإمامة. وإذا كان ذلك كذلك فعلامته أن لا يبطله ولا يجد القلق حين قطعه عنه، ولا يتضجر، ولا يترك ما هو بصدده ، فإن طلب أو تضجر فقد خرج عن باب المندوب إلى باب المكروه أو المحرم كما تقدم في أمر العالم ، ولو تكلم في ذلك بنية الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ، وإرشاد المسلمين لمصالح دينهم فذلك سائغ ما لم يصحبه حظ ما فإن صحبه فيكره أو يمنع بحسب الحال، وينبغي له أن يتحفظ على الأوقات أكثر من تحفظ المؤذن عليها، إذ أنه قد يخطئ المؤذن في بعض الأوقات فيكون ذلك سببا لإيقاع الصلاة في غير وقتها، والمؤمن كفيل لأخيه إذا كان الإمام يتحفظ على الأوقات فقل أن يأتي خطؤهما معا، بل إذا أخطأ هذا أصاب هذا في الغالب ، ومذهب مالك رحمه الله : أن معرفة الأوقات فرض في حق كل مكلف ، وإذا كان ذلك كذلك فما بالك بمن له الإمامة إذ به الحل والربط في الصلاة ، وينبغي له أن يتحفظ على منصب الإمامة مما يتعاطاه بعض الناس من الأشياء التي تزري بصاحبها من المزاح ، وكثرة الضحك سيما مع الأجانب والمشي في الأسواق لغير ضرورة شرعية ، وما أشبه ذلك من الأشياء التي تزري بصاحبها، وليس ذلك من منصب الإمامة في شيء. وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم، عن الجلوس على الطرقات ، كما تقدم ، وبعضهم يقعد على دكان البياع لا لحاجة، وذلك جلوس على الطرقات ، وهو موضع النهي كما تقدم ، وينبغي له أن يكون أعظم الجماعة قلقا وخوفا ، وأكثرهم علما وخشية ورقة، وقد ورد أن الصلاة ترفع على أتقى قلب رجل من الجماعة فينبغي أن يكون الإمام هوالمتصف بذلك حتى يحصل جميع من خلفه في صحيفته ، وفي خفارته ، وينبغي له أن لا يرى لنفسه على من تقدمهم فضلا ، ويرى الفضل لهم عليه ، ويتخوف على ذمته لقوله عليه الصلاة والسلام « الإمام ضامن، والمؤذن مؤتمن» أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

وينبغي له بل يتعين عليه أن يكون أكبر مهماته التحفظ من العوائد المتخذة ، والبدع المحدثة التي أحدثها كثير من الناس حتى صارت كأنها من السنن المعلوم بها عندهم ، حتى لو تركها أحد اليوم لوجدوا عليه، وقالوا : ترك السنة فظهر ذلك ما أخبر به عليه الصلاة والسلام حيث قال:(كيف بك يا حذيفة إذا تركت بدعة قالوا : ترك سنة) فيتحفظ من هذا الأمر الخطر جهده إذ أنه علم للعامة في المسجد في الاقتداء به في الغالب.

انظر مدخل ابن الحاج ج/1ص(189-192)

برقية مرفوعة إلى أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده بمناسبة تنظيم ندوة علمية حول المرحوم الأستاذ سعيد اعراب

على إثر الندوة التي نظمها المجلس العلمي بتطوان حول الحياة العلميةللمرحوم الأستاذ سعيد أعراب والتي مثل الأمانة العامة فيها النائب الأول لرابطة علماء المغرب الشيخ ماءالعينين لارباس والنائب الثاني أحمد أفزاز رفع المشاركون برقية إلى صاحب الجلالة محمد السادس نصره الله، هذا نصها:

■ الحمد لله الذي شرف العلم والعلماء بأجل ذكره وأفضل ثنائه، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خاتم رسله وأنبيائه، سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه ما طلعت الشمس وعم نورها الكون بسائر أرجائه.

مولاي أمير المؤمنين ، وحامي حمى الملة والدين، وسبط النبي الأمين وسليل دوحة الملوك الأشراف العلويين ، مولانا محمد السادس نصركم الله بنصره المبين ، وخلد في الصالحات ذكركم بين العالمين.

السلام على مقامكم العالي بالله ورحمته تعالى وبركاته.

وبعد، فتأبينا للروح الطاهرة لفقيد العلم والمعرفة الأستاذ الكبير سعيد أعراب ، واعترافا بإسهاماته الإيجابية في دعم قواعد الأصالة المغربية وترسيخ جذور المذهب المالكي الحنيف.

نظم المجلس العلمي الإقليمي لولاية تطوان وجمعية تطاون أسمير ندوة علمية بعنوان:(الأستاذ العلامة سعيد أعراب: حياته وأعماله العلمية) يومي السبت والأحد 21و22 محرم 1425 هـ موافق 13و14 مارس 2004م بمقر المجلس العلمي بتطوان بمساهمة نخبة فاضلة من العلماء والباحثين والأساتذة شاركوا بعروض قيمة تناولت بإسهاب وتركيز حياة الفقيد العزيز الحافلة بالعطاءات العلمية والجهود المتواصلة في مجال الكتابة الملتزمة والبحث والتحقيق ، نالت استحسان الحاضرين الذين تتبعوها ببالغ العناية والاهتمام طيلة جلستي الندوة.

كما نظم المجلس بالمناسبة بتعاون مع أسرة الفقيد معرضا لأعماله العلمية وصورا تذكارية، ضم ما نشره الفقيد من أبحاث ومقالات في الجرائد والمجلات ، ووجد المعرض اهتماما كبيرا لدى الطلبة والباحثين المهتمين.

وبهذه المناسبة الطيبة، يسعدني ويشرفني . بعد تقديم فروض الطاعة والولاء . أن أتقدم إلى مقامكم العالي بالله باسمي وباسم جميع الأساتذة والعلماء والباحثين المشاركين في الندوة وكافة الحاضرين والحاضرات وباسم أسرة الفقيد بأصدق آيات الإخلاص والتعلق والوفاء معربا لجلالتكم عن خالص تقدير العلماء لجنابكم الشريف لما تولونه لرجال العلم والمعرفة من واسع اهتمامكم وكبير عنايتكم كما تجلى ذلك في أجل صوره عند تفضل جلالتكم بتكليف لجنة جائزة الملك محمد السادس للكتاب بتكريم الفقيد العزيز سعيد أعراب في السنة الماضية بالحاضرة التطوانية بحضور معالي وزيركم في الأوقاف والشؤون الإسلامية ووالي ولاية تطوان وعدد من رجال العلم والمعرفة ، وكذا في برقية تعزيتكم المؤثرة لأسرة الفقيد يوم اختاره رب الأنام لجواره مع الذين أنعم عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

ضارعا إلى الله سبحانه وتعالى أن ينصركم نصرا مبينا ويديم على جلالتكم رداء الصحة والعافية والسعادة ، ويحقق على يديكم الكريميتن ازدهار العلم والعرفان ، والمغرب يرفل في حلل الرخاء والرقي والأمن والاطمئنان ، تحت قيادتكم الرشيدة المحروسة بعين الرحمن، ويقر عينكم يامولاي بولي عهدكم المحبوب الأمير الجليل مولاي الحسن، ويشد أزركم بشقيقكم السعيد الأمير مولاي رشيد ، ويحفظكم في كافة أفراد الأسرة الملكية الشريفة بما حفظ به الذكر الحكيم ، وأن يمطر شآبيب الرحمات والمغفرة والرضوان على روحي فقيدي الحرية والاستقلال ، والعروبة والإسلام ، جلالة المغفور له محمد الخامس وجلالة المغفور له الحسن الثاني طيب الله ثراهما، وجعل الجنة مقعدهما مع النبيئين والصديقين والشهداد والصالحين وحسن أولئك رفيقا، إنه سميع مجيب

والسلام على مقامكم العالي بالله ورحمته تعالى وبركاته

خديم الأعتاب الشريفة

رئيس المجلس العلمي الإقليمي لولاية تطوان وعميد كلية أصول الدين بتطوان الدكتور إدريس خليفة

برنامج أنشطة رابطة علماء المغرب، فرع الدار البيضاء بمناسبة حلول السنة الهجرية 1425

ر.ت	تاريخ	نوع النشاط	المشاركون	المسجد	الموضوع
01	السبت 25 01 21 04 03 13	محاضرة	عمر محسن	الأندلس-أنفا	دروس من الهجرة
02	الأحد 25 01 22 04 03 14	ندوة	حسن بنان رضوان ابن شقرون عمر محسن	التقوى حي الألفة	دروس مستخلصة من الهجرة
03	السبت 25 01 28 04 03 20	ندوة	رضوان ابن شقرون عمر محسن	الأمير عبد الله بوسكورة	أثر الهجرة في بناء الدولة الإسلامية.
04	السبت 25 01 28 04 03 20	محاضرة	الحسين مفراح	السنة، مارس	الهجرة أحداث ودلالات
05	الأحد 25 01 29 04 03 21	ندوة	رضوان ابن شقرون عمر محسن	الأمنية دار بوعزة-النواصر	أثر الهجرة في بناء الدولة الإسلامية.
06	الأحد 25 01 29 04 03 21	ندوة	حسن أمين المختار بصير الحسين وشو	الأمل1،الفداء	الزكاة وأثرها الاجتماعي
07	السبت 25 02 05 04 03 27	محاضرة	رضوان ابن شقرون	مولاي إدريس1 شارع إدريس1	الزكاة والتكافل الاجتماعي
08	الأحد 25 02 06 04 03 28	ندوة	رضوان ابن شقرون سعيد ربيع سعيد بوهي	الحسن: زاوية ش. احمد ، والقدس	فريضة الزكاة وأهميتها
09	السبت 25 02 12 04 04 04	محاضرة	عبد الرحيم الزلوي	محمد الخامس: الحي المحمدي	من أحكام الزكاة وآثارها
10	الأحد 25 02 14 04 04 04	ندوة	الحسين مفراح م.الحبيب احسايين م. الوكيلي	العنبق عين حرودة	من أحكام الزكاة وآثارها

البرنامج العام بأنشطة المجلس العلمي لجهة الرباط.سلا. زمور. زعير خلال شهر صفر الخير لعام 1425 هـ

1- المحاضرات

ر . ت	عنوان المحاضرة	إسم المحاضر	موعدها ومكانها
1	" الخطاب الإيجابي في الدعوة إلى الله "	ذ . إدريس الكزدي	الأربعاء 24 مارس 2004 م بعد صلاة العصر بقاعة المرحوم الشيخ المكـي الناصري بمقر المجلس العلمي .
2	" أي موقع للطفل في مدونة الأسرة "	ذ . عبد الله الكبيرة	الأربعاء 31 مارس 2004 م بعد صلاة العصر بقاعة المرحوم الشيخ المكـي الناصري بمقر المجلس العلمي
3	" مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام من خلال الزكاة "	ذ . محمد الشرقاوي	الأربعاء 07 أبريل 2004 م بعد صلاة العصر بقاعة المرحوم الشيخ المكـي الناصري بمقر المجلس العلمي .
4	" حتى يغيروا ما بأنفسهم "	د . صالح زارة	الأربعاء 14 أبريل 2004 م بعد صلاة العصر بقاعة المرحوم الشيخ المكـي الناصري بمقر المجلس العلمي .

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1061
السنة37
الجمعة 4 صفر 1425 هـ
الموافق 26 مارس 2004 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال -
الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 037 67 03 51
الفاكس: 037 67 45 93
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1061 الجمعة 4 صفر 1425 هـ . الموافق 26 مارس 2004م

الأشعرية بالمغرب

■ إعداد الأستاذ: ادريس خليفة

■ تسربت إلى المغرب مع بداية القرن الثاني الهجري مذاهب مختلفة بدخول العرب الفاتحين إلى المغرب، ومن هذه المذاهب: مذهب الخوارج والمعتزلة والشيعة والمرجئة، ورافق ظهور المذهب الخارجي بالمغرب دخول مذهب المعتزلة الواصلية أتباع واصل بن عطاء الذين ظهروا في طنجة وسجلماسة ومكناسة، حيث كانت قبيلة أوربة التي نزل بها إدريس الأول وأسس بها دولته، وقد وجدت الاتجاهات الخارجية هوى في نفس أهل البلاد الذين ثاروا في وجه الولاة الذين عينتهم الدولة الأموية، ووجدوا ضالتهم تحت شعار: "لاحكم إلا لله" وقد حاول عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي (ت:101 هـ)تدارك الأمر، فأرسل قائده إسماعيل بن المهاجر على رأس جيش كثيف إلى إفريقيا لإعادة البربر إلى الجادة، كما بعث عشرة من الفقهاء لإصلاح عقيدتهم وتبصيرهم بأمور دينهم، وقد قام هؤلاء الفقهاء بالدور المنوط بهم، فعلموا القرآن، ونشروا السنة ودرسوا العربية وعلوم الدين، وبنوا المساجد، وكان لهم فضل كبير في إصلاح الأحوال وتثبيت الإسلام السني بالمغرب، كما كان للدولة الإدريسية دور في دفع فتن الخوارج وقمع ثوراتهم، وكان لدخول المذهب المالكي إلى المغرب أثر قوي في دعم عقيدة أهل السنة وإبعاد الناس عن البدعة، فقد كان للإمام مالك بن أنس (ت:179هـ)موقف كلامي عقدي سني، خالف به أقوال المذاهب المنحرفة، وكان من الأسس التي بنى عليها الأشاعرة مذاهبهم، ولذلك آزر المالكية المذهب الأشعري وانتموا إليه، فكان هو مذهبهم العقدي إلى جانب فقه مالك وتصوف الجنيد السالك، وهكذا ارتبط العقدي بالفقهي والصوفي في تفكير المغاربة، ولهذا كانوا إلبا على العبيديين الشيعيين الذين أسسوا دولة لهم بتونس، وحاربوهم عندما غزوا المغرب، ووقف علماء المالكية ضدهم، وردوا على مقالاتهم، وعقدوا المناظرات لدحض أقوال خصومهم حتى اضطروا دولة الفاطميين للرحيل إلى مصر.

وقد كانت الدولة المرابطية بالمغرب دولة ملتزمة بمذهب الإمام مالك، وكانت على طريقة السلف ونهجهم في الاعتقاد، وبعد ما أسس الإمام الأشعري مذهبه كان هناك بالمغرب أشاعرة، لكن الدولة المرابطية لم تتقبله رسميا، ولم يكن له انتشار على المستوى الشعبي إلى ظهور المهدي بن تومرت زعيم الموحدين الذي أعلم هذا المذهب على الملأ وناظر فيه الفقهاء، ونعت المرابطين بالمجسمة، ونعت نفسه وأصحابه بنعت التوحيد، لهذا سميت الدولة التي أسسها دولة الموحدين في صدر المائة السادسة، وقبل ابن تومرت والموحدين كان الفكر المغربي السني على صلة بالفكر الأشعري كما يدل عليه آراء ابن أبي زيد القيرواني (ت:386هـ)وعقيدته التي هي في مقدمة رسالته نموذج العقائد السنية في هذه الفترة، وهي مع هذا متلبسة بآراء الأشعرية التي تتمثل في عدد من فقراتها التي قصد بها المؤلف الرد على مذاهب الاعتزال والارجاء والخارجية والشيعة على طريقة الأشاعرة، وكذلك شأنه فيما ذكر من إثبات الصفات وأن القرآن كلام الله ليس بمخلوق فيبيد ولا صفة لمخلوق فينفذ، ولا غرابة في هذا فإن أبي زيد الملقب بمالك الصغير كان من تلاميذ عالم القيروان أبي ميمونة دارس بن إسماعيل الفاسي (ت:357هـ) الذي كان رحل إلى المشرق، والتقى بعض تلاميذ الأشعري وتأثر بهم، وعندما رجع إلى تونس نزل بدار ابن أبي زيد، فلا جرم أن يكون نقل إليه ما يروج بالمشرق، وما سمع فيه من مذاهب، وأن يعلمه ذلك، ويكون دارس طليعة من أدخل مذهب الأشعري إلى المغرب، ولقد رحل ابن أبي زيد إلى المشرق ودرس على جماعة من البغداديين، وكانت له علاقة بابن المجاهد (ت:370هـ)تلميذ الإمام الأشعري.

ومن أعلام هذه المدرسة ببلاد المغرب:

. أبو الحسن القابسي (ت:403هـ).

. أبو محمد عبد الله الأصيلي (ت:392هـ).

. أبو عمران الفاسي الغفجومي (ت:430هـ).

. أبو الوليد الباجي القرطبي (ت:474هـ).

. أبو بكر محمد بن الحسن المرادي (ت:489هـ).

. أبو عبد الله بن تومرت، له عقيدة "المرشدة" وأبو عمر السلالجي مؤلف "البرهانية" قال فيه الأستاذ عبد الله كنون: "وهو الذي على يده وقع تحول أهل فاس من المذهب السلفي إلى المذهب الأشعري" لكنه قال بعد هذا بنحو ثلاث صفحات من كتابه النبوغ . ص:124 ." إن الإمام السلالجي الذي تجند لنشر العقيدة الأشعرية كان من أبعد الناس عن تلك الشبه . يريد الشبه التي جاء به المهدي بن تومرت كقوله بالعصمة. وأكثرهم تمسكا بالنسبة، فلما أخذ الناس، عنه العقيدة المذكورة لم يكن فيها شيء من تلك الشوائب، وحمى الله المغرب وأهله من الغلو والانحراف في العقيدة والمذهب".

ولقد بقي أهل المغرب منذ عصر الموحدين على عقيدة الأشاعرة إلى زمننا هذا، وفي كل عصر ينهض بعض العلماء لتجديد النظر في علم الكلام والتأليف في العقيدة وشرحها، وتبديد الشبه وتحصين الإيمان، يستمدون عناصرها مما ألف فيها المتقدمون ويمزجونها بمعارفهم وعلومهم، وعبر هذه المراحل كان علم الكلام يعرف أنواعا من النشاط أو الجمود حسب الأوضاع والأحوال، فقد عرف هذا العلم جمودا فكريا طبعه في القرن الثامن الهجري عندما غلب التقليد وضعفت الهمم عن التجديد وعرفت البلاد كارثة سقوط الأندلس التي أصابت النفوس بذهول شديد، لكن علم التوحيد بالمغرب نشط من عقال على يد الامام أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي (ت:832هـ) الذي دعا للتجديد وحارب التقليد، وألف لهذه الغاية عقائد الأشعرية، وهي:

× العقيدة الكبرى، وتسمى : "عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمات الجهل وربقة التقليد المرغمة انف كل مبتدع عنيد".

×وشرح العقيدة الكبرى وتسمى: "عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد.

×العقيدة الوسطى.

×العقيدة الصغرى.

×شرح العقيدة الصغرى والوسطى.

وقد عنى بهذه العقائد جمهور من أهل العلم وخصوصا بالشرح والدرس، وهيمنت على الساحة العقدية، ولم ينافسها إلا نظم الشيخ عبد الواحد بن عاشر (ت:990هـ)المسمى بالمرشد المعين الذي استأثر كذلك بالاهتمام إلى جانب مقدمة رسالة بن أبي زيد.

وقد كان لجامع القرويين فضل كبير في نشر العقيدة الأشعرية واستمرار وجودها بالمغرب، إذ كانت محل عناية شيوخه الذين كانوا يقومون على تدريسها ويولفون في شرحها وتحليلها إلى عهد قريب، لكن هذا الأمر توقف، وانصرفت العناية إلى علوم أخرى، وصارت دراسة علوم العقيدة ترتكز على تحليلات أدبية طفيفة وملامسات فكرية عابرة، في حين أن ساحة الاعتقاد تشهد صراعات فكرية شديدة، وغزوا علمانيا عقديا يساريا عنيفا، واتجاهات وافدة باسم الإسلام السلفي كما أسسته مدرسة ابن تيمية وبعض الحنابلة التي ترى أنها تمثل الإسلام الحق وعقيدة السلف بلا اشتباه، واعتبرت مذهب الأشاعرة مذهبا بدعيا، مقتنصة بعض العبارات التي لم تكن آخر ما قاله أبو الحسن الأشعري وبعض الشروح الفلسفية للأشاعرة المتأخرين لتدعو إلى أن يضرب بهذا المذهب عرض الحائط، والحق أن الأشعرية كانت خدمة للفكر الإسلامي والإنساني، وإنها خلصت هذا الفكر من غلو الغالين وتأويلات المبطلين، وأعادت إليه جدته ونشاطه، ووحدت الساحة الإسلامية على مذهب وسط يعتمد النقل ولا يبطل العقل ويرد المتشابه إلى ما هو محكم، ويلغي كثيرا من مقالات المعتزلة والخوارج والمرجئة والشيعة، ويربط المسلم بالكتاب والسنة، ويثبت العصمة للأنبياء والمعجزة دليلا على صدق نبوتهم، كما يثبت الميزان والصراط والجنة والنار والحوض والشفاعة وغيرها من عقائد الإيمان، وأن المهم هو متابعة ما دل عليه الكتاب العزيز، والسنة الثابتة الصحيحة، قال تعالى : (آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل) وقال جل من قائل: (وما آتكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال: (فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يومن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون).

وما من شك في أن الضرورة اليوم تدعو إلى إعادة الاعتبارلعلم الكلام وتجديده، وفقا للحاجيات والضروريات ودواعي الاجتهاد، وطبقا لضوابط العقل والنقل، فإن القرآن يدعو إلى النظر والفكر، والاعتبار، ولاشيء من ذلك كائن إذا حبسنا العقل عن النظر، وأعرضنا عن الفكر، وأغلقنا منافذ الحس والإدراك، ووقفنا عند الرواية، وتركنا الدراية، وعجزنا عن نقد مايجد من الآراء والأفكار والمذاهب والنحل، ووضع تصور لعالمنا وكيف نهتدي بالفكر والنص إلى طرق علاجة والتعامل معه ومع مستجداته ودعاوي حداثته وشعاراته الإديولوجية من علمانية وديموقراطية وحقوق إنسان وحرية وغيرها من الشعارات، مثلما فعل علماء الكلام عندما درسوا قضايا الإمامة والعصمة وخلق أفعال العباد وحكم فاعل الكبيرة مثلا، والفكر الإسلامي قادر إن شاء الله على التجديد والإبداع، وملاءمة التطور، واحتواء تصورات الحداثة والعولمة والمعاصرة، كما يمكنه أن يوحد مذاهب النظر، ويقارب بين المذاهب الكلامية، ويضع حدا لخلافاتها وافتراقها لتسعد الأمة ويعم الرخاء وتطمئن النفوس وترجع إلى صلاح دينها ودنياها. والسلام.